

نيتو موسوليني

قصة حياته



بقلم: كريستوفر هيبيرت
ترجمة: عبد الفتاح البكري
مراجعة: محمود قتيبي عمر



الجزء الثاني





بنيتو موسوليني

قصة حياته

بقلم: كريستوفر هيرت

، الجزء الثاني

ترجمة: عبد الفتاح البكري
مراجعة: محمود فتحي عيسى

الفصل الأول

« تسير الحرب في غير مصلحتي »

٢٣ أكتوبر ١٩٤٢ - ٢٣ يناير ١٩٤٣

القدر : يتحدث رجال الدولة
عن القدر فقط عندما يخطئون

بدأت المعارضة الإيطالية للألمان وللنظام الفاشي تنتشر في إيطاليا انتشارا كبيرا في خريف سنة ١٩٤٢ ، فاضطرت الحكومة الى اتخاذ وسائل القمع والغاء القبض على المثقفين في كل من روما و نابولي وميلانو ، وعلى العمال في نابولي وسيشيل . وأصبحت المظاهرات والاضرابات عامة ، كما أصبح إطلاق النار فوق رؤوس المتظاهرين من الأمور العادية . وقام الاشتراكيون في جنوا ، والشيوعيون في تورين بطبع النشرات السرية ، ونزع الشعارات الفاشية والصاق هذه النشرات مكانها . وقامت الصحف غير الفاشية بتأييد هذه المعارضة بكل حذر وحيلة ، وأشارت الى عدم الرضاء المنتشر بين الشعب ، لذلك أصدرت الحكومة أمرها بوقف جرائد هذه المعارضة ومنها جريدة « أودجي » ، « اليوم » .

ونظرا لعدم توافر المواد الغذائية مثل الخبز والخضراوات واللحوم ، والارز والبيض ، فقد قامت الحكومة باتباع نظام الصرف بالبطاقات لتوزيع هذه المواد ، كما امتنع البوليس بعد ذلك عن التدخل في شئون السوق السوداء بعد أن أصدرت الحكومة قرارا بتخفيض أسعار السلع الغذائية بنسبة ٢٠٪ وعدم قدرتها على تنفيذه هذا القرار .

أما في الجنوب فقد كان الفلاحون في حالة تقرب من الجوع والبؤس وكان الفقراء يعانون من الجوع الشديد ويشدون الأحزمة على بطونهم حتى آخر ثقب فيها ، فقد كانت هذه الحرب حربه هو . هو الذي قادهم واستعملها ، أما الألمان الذين قاموا بالحرب واحتلوا كل شبر في أوروبا فقد كانوا أصدقاء بالفعل ، وكان الإيطاليون يتحدث بعضهم الى بعض بأنهم سوف يعملون أى شيء في سبيل إنهاء الحرب ، وسوف يحاولون بكل إمكانياتهم كسبها . والواقع أن غالبيتهم كانوا قد توقفوا عن التفكير في كسب الحرب منتظرين أن يأتي اليهم من إذاعة لندن أى تلميح يمنحهم الأمل في ذلك .

وقد تقبل موسوليني هذه الروح التي تميل الى الانهزامية والتراجع كمظهر جديد من مظاهر عدم استحقاق الشعب لأى شيء وعدم تعديده الا للغناء والتهام « الأيس كريم » .

لم يعد الايطاليون يصلحون لآى شىء مثلما كانوا فى عام ١٩١٤ .
وكان هذا أحد عيوب النظام الفاشى التى لا يمكن انكارها .

أما بالنسبة للجيش فقد كان الامر ميثوسا منه ، وكان الجنرالات والقوات رجالا لانفع فيهم ولا فائدة . وكانت البورجوازية دون شك تتسم بروح ، الأنانيه والانحلال ، وكانت تعتبر أسوأ الطبقات الايطالية على الإطلاق .

وفى أحد الايام نقل اليه اتصال تليفونى تم بين قيادة الجيش الالماني فى ايطاليا وبعض القادة الالمان فى برلين حيث ذكرت القيادة الالمانية لفظ « مكرونة » بدلا من لفظ « الايطاليين » ، وطالبت بضرورة احتلال ايطاليا بأسرع وقت ممكن ، فهاج موسوليني وانفعل وقال لشيانو : انه يعد ملفا خاصا يتضمن اهانات الالمان وجرائمهم ليستخدمه حينما تحين الفرصة المناسبة .

وفى الوقت نفسه أهمل ذكر انتصارات الالمان وبدأ يتجه الى فضائل وانتصارات اليابانيين ، وأعلن أنه « من أكبر المؤيدين لليابانيين فى العالم كله » ، واختتم خطابه باعلانه « ان الجنود الايطاليين سوف يقفون جتبا الى جنب من أجل الانتصار مع جيوش « التحالف الثلاثى » ولكنه لم يذكر جنسية دول هذا التحالف . وفى مناسبة أخرى كان يقرأ تقريرا عن مدى معاملة العمال الايطاليين فى المعسكرات الالمانية حيث كانوا يعاملون بطريقة لا تتسم بحسن الضيافة أو بروح الود بل كانوا ينزلون عليهم العقاب فى بعض الاحيان لعدم رضوخهم وخضوعهم التام ، فانفجر موسوليني لهذه الإهانة وقال : « ان هذه الامور سوف تخلق روحا من الحقد والكراهية الدائمة فى قلبى ، وسوف أسوى حساب هذه النقطة بعد أن انتظرت كثيرا ، ولكنى لن أسمح بعد ذلك لابناء هذا الشعب الذى أعطى الانسانية قيصر ودانتى ، ومايكل انجلو ، ان يخضعوا لمثل هذه الفئات المتعطشة للدماء ، وهذه الكلاب المسعورة ! »

ولكنه بالرغم من ذلك لم يحتج رسميا ، وانما اكتفى بهذه الأقوال ، ثم أصدر تعليماته الى شيانو للاتصال بالهركسنس السفير الالماني فى روما والتحدث فى هذا الشأن كأنه يتحدث دون معرفة من الدوتشى الذى لا يعلم شيئا عن هذه المعاملة .

وقد خرج شيانو من هذه الاتصالات بروح مملوءة بالاشمئزاز والاحتقار « للالمان البرابرة الهمجيين ، الذين يشبهون الكلاب القذرة الذميمة التى تأكل كل ما على العظام من لحوم وتترك أكوام العظام للايطاليين » . ويجب أن يتذكروا أنهم قد تسببوا فى فقدان امبراطوريتنا على حين تستمر فرنسا المنهزمة المدحورة تسيطر على امبراطوريتها . اننا قد نوافق على التخلي عن اقمصتنا ، ولكن الالمان يودون تجريدنا من ملابسنا كلكية » ، وقد أعلن شيانو فى مجلس خاص له أن الأمل الوحيد أمام ايطاليا الآن هو ان تنتهى الحرب بالنسبة لها بشروط مقبولة تحفظ لايطاليا كرامتها واستقلالها ، فى حين تستمر ألمانيا فى حربها حتى تنهكها وتدمرها ، ولكنه بالرغم من ذلك كله كان يحتفظ باعجابه الخاص الالماني .

وبعد أن تحدث موسوليني مع الفيلد مارشال كيسي لرنج القائد الألماني في إيطاليا ذكر قاداته بروح طيبة وامتدحهم . وكان موسوليني يرغب في تقوية روح العنف والمقاومة في شعبه وجنوده ، وفي زيادة عزيمتهم وعدم اهتمامهم بالألم والمقاساة . وكان يود أن يعود الشعب الإيطالي الى الشعور بدوام الخطر وعدم الخوف فأمر بأن تطلق صفارات الانذار أصواتها في روما اذا وقع أى هجوم على نابولي ، وأن تقوم بطاريات المدفعية بإطلاق نيرانها لكي توهم شعب روما بوجود خطر مستمر فوقه وتثير فيه روح الحماس والدفاع الذاتي .

وانتهجت الحكومة سياسة أخرى مسيطرة لهذا الاتجاه وذات طابع مدني فقد أعلنت اسماء المدنيين الصالحين للخدمة العسكرية تمشيا مع أوامر التعبئة العامة ، وصدرت الأوامر بمعاينة الافراد على المخالفات السياسية والعسكرية ، كما صدرت أيضا بطبع مقالات معينة في الصحف والمجلات دون الاهتمام بالمقائيل ، والاحتكام فقط بإشعال روح الوطنية والاخلاص للقائشية والكراهية لعدوتها .

وقد ذكر في إحدى المناسبات لشيانو أن هتلر قد اتبع طرقا قوية من أجل التأثير على شعبه : فمثلا عندما قامت البحرية البريطانية في ١١ من نوفمبر ١٩٤٠ بمهاجمة الاسطول الإيطالي في تارنتو حطمت ما يقرب من نصفه . وصدرت الأوامر الى الصحف بعدم ذكر هلهذه الهزائم ، والتحدث عن غارة جوية خيالية قام بها الاسطول الجوي الإيطالي على بريطانيا وأصابتها بكثير من الخسائر والضحايا . وكانت هذه الغارة في الواقع أول وآخر غارة يقوم بها الإيطاليون على بريطانيا إذ خسروا فيها ثمانى قاذفات قنابل وخمس مقاتلات .

وعندما قامت مجموعة من جنود المظلات تبلغ مائة وخمسين باحتلال جزر الايون اليونانية أصدر موسوليني أمره بإعلان أن وحدة كاملة قد قامت بغزوها واحتلالها .

وبالرغم من ذلك فلم يكن الشعب الإيطالي متأثرا بهذه الجهود التي كان يقوم بها موسوليني لتضليله . وبمرور الزمن وظهر تعقيدات في الحرب وسيروها في طريق الهزيمة ، بدأ موسوليني يتجه الى محاولة التخلص من ويلات الحرب ، ولكنه مع ذلك كان يقابل بحفاوة كبيرة في المناسبات التي كان يظهر فيها أمام العامة ، ولكن هذه الحفاوة لم تكن سوى حفاوة مصطنعة ، وكان احترامها له مبعثه العادة .

وكانت هناك أسباب أخرى غير سوء النتيجة واتجاه الحرب وغير التحالف الكريه مع ألمانيا ، أدت الى كل هذا . فقد أصبح موسوليني في غاية المرض في هذه الآونة ، وأصبح يبدو ضعيفا واهنا ، لا كعادته من دوام الحركة وكثرة النشاط ، وإنما أصبح جسدا متداعيا تنتيجة ما بهذله في شبابه من جهود سواء في الجد أو اللعب . وقد قال جوسيمي بوتاي وزير التعليم في ذلك الوقت :

« انني أتذكر الآن ان المارشال باليو قد وصف موسوليني بأنه قد جاء نتيجة أحد الأمراض الخبيثة ، وكنت أعترض دائما على هذا الوصف ،

ولكني أصبحت الآن أشك في أن هذا الوصف كان صحيحا ، فقد تداعى
موسوليني جسمانيا وثقافيا ، ولم يعد يجذبني ويثير في نفسي الحماس
والقوة ، إذ لم يعد رجل عمل ، بل أصبح رجلا لا ينظر الا لشخصه
وأطماعه الشخصية ، ويتوقع من الجميع أن يبداوا إعجابهم به .

وفي أكتوبر سنة ١٩٤٢ لم يكن موسوليني في طريقه الى الانهيـار
والتداعي فحسب ، ولكنه كان يعاني في الوقت نفسه ألما مبرحة لذلك
أصبح طبيبه الخاص الدكتور « بوزي » ينتقل باستمرار بين فيلا
تورلونيا ، وروكالد كامينياتي . وقد أعلن أن الجراح التي أصيب بها
موسوليني في عام ١٩١٧ قد انفتحت من جديد وأصبحت تسبب له
ألما لا طاقة له بها لدرجة أنه كان (كما يقول كوينتا نافارا كبير الخدم
في قصر فينيسيا) يتقلب على الأرض وهو يئن ويصرخ ، وليس هناك من
ينكر قوته وشجاعته الجسمانية ، ولكن كان يجب عليه أن يصرخ ويتألم
كأي إنسان ، ثم يعود الى راحته حين يحقنه طبيبه الخاص (الدكتور
بوزي) بالمخدرات . وبدا منذ ذلك الحين يعتمد أكثر على الادوية المخدرة .

ومرت الايام ، وبدأت صحة موسوليني تتحسن ، وبدأت أخلاقه
تتغير تبعا لذلك ، فأصبح حديثه لا يحمل العنف والقوة ، ولم تعد
تعليقاته تحمل طابع السخرية والتوحش ، وإنما أصبحت تتصف بروح
العصبية والانهاك . وبدأ موسوليني يشعر بحاجة ملحة للظهور أمام
العامة متعللا بأن حياة العزلة تزيد من مشكلاته وتعقدها ، ولكنه كان
لا يزال مصمما على حل جميع المشكلات بنفسه .

ويقول الدكتور بوتاي : انه كان من الأفضل لموسوليني في تلك
الفترة ان يعيش منعزلا في قصر بلازوفينسيا ، ولكن كانت « كلارا
بتاتشي » صديقه الخاصة للأسف تنتظره كل يوم بعد الظهر في حجرات
« سيبو » في الشقة العليا من القصر ولم يكن بوتاي هو الايطالي الوحيد
الذي كان يخبر آلوتشي بأن زيارة صديقه هي السبب المباشر في
تدهور صحته . وقد استمع موسوليني الى النصائح فكان يذهب اليها
قليلا ، ويجلس معها قليلا من الوقت وربما لا يذهب اليها بالمرة ، وتظل
تنتظره ساعات وساعات دون جدوى ، فتتهيج وتنفعل وتتهم حاشية
موسوليني ومن يقدم له النصيحة بأنهم « جميعا أعداؤه ، وانهم يخونونه
خمس عشرة مرة في اليوم ، وان الفاشيين أصبحوا خونة ، وان القادة
الغسكريين أصبحوا تافهين أغبياء وخاصة « دي بونو »

وكانت بطبيعة الحال تعتقد ان حاشية الدوتشي لا تخون الدوتشي
فحسب ، وإنما كان آلوتشي نفسه يخونها ، لذلك كان الرعب يستولى
عليها خوفا من أن يكون الدوتشي قد تحول الى صديقة أخرى : فقد كانت
كل من مارجريتا سارفاتى وانجيلا كورتى تحاولان سرقة منها . وكانت
هناك امرأة أخرى تدعى « ايرما » تحاول أيضا أن تبعد كلارا من طريق
موسوليني لذلك حاول موسوليني أن ينهي علاقته مع كلارا بعد أن دامت
سبع سنوات وهي تعتبر أطول فترة عرف فيها امرأة .

وفي ربيع عام ١٩٤٣ اعترض طريقها أحد جنود الحرس في قصر
بلازو فينيسيا وأخبرها انه قد تلقى أوامر بمنعها من الدخول ، فإزاحته

الجندى من طريقها وصعدت لتجد الدوتشى يستقبلها ببرود وجسوة ، وقال لها : « اننى أعتبر أن الدائرة قد أقفلت » ولكنها ظلت تحاول استدرا عواطفه ، عن طريق الدموع المنهمرة التى أغرقت وجهها الأبيض ، وترجوه أن يغفر عنها ويرجعها الى حظيرته .

وبعد عدة أيام اتصل بها تليفونيا وأخبرها انه يأسف أن يطلب منها الا تذهب الى قصر بلازو فينيسيا مرة أخرى ، ورجاها أن تتركه وحده « لأن الحرب لا تسير في مصلحتي » . وقال : ان الشعب قد ينتقدني لضعفى ، فهناك امرأة واحدة جعلتنى أقدم على الاعمال الشاذة التى تدل على الغياف ، لذلك لا أنوى أن أستمر فى هذا الموقف الضعيف « ولكنه فعل ذلك وكان يوجه اليها الاهانات ويتشاجر معها ويسلك نحوها سلوكا لا شعور فيه « كما لو كانت هناك امرأة أخرى تأخذ منه كل شيء » .

وكان يتشاجر معها دائما بسبب عائلتها ، وبسبب مضاربات أخيها المالية ، والمذكرة الغامضة التى أرسلها اليه يشرح فيها كيفية كسب الحرب .

وقد جاء اليوم الذى لم يعودا يهتمان فيه بالمشاجرات واختلافات الراى ، واكتفيا باللقاء للتغنى بنغمات الحب وكانت تقول له : « اننى لن أحضر بعد الآن خلال النهار ، بل سوف أحضر عندما يسدل الظلام ستاره ، لأجلس معك بضع دقائق لأراك وأقبلك ، لاني لا أرغب فى أن اتسبب فى فضيحة ! »

« ولكنها كانت فى الواقع فضيحة تؤذى الدوتشى أكثر بكثير من خسارة خمس عشرة معركة حربية » . كما ذكر أحد ضباط البوليس الكبار . وقد وقر شيانو على هذا الراى فذكر « أن هذا الراى حقيقى لأن الكلام قد كثر وانتشر عن هذا الوضع » .

وقد ذكر أحد الموظفين الكبار أن عائلة « بتاتشى » تسيطر على كل شيء فتمنح الحماية السياسية ، والتهديد من أعلى ، والتأمر من أسفل . ولكن ماذا يستطيع الانسان أن يفعله لابلأغ الدوتشى بكل هذه الاعمال ؟ لقد كانت حاشيته وسكرتاريته الخاصة تنتهز هذه الفرصة لتحقيق المكاسب المالية الشخصية . وكان موسولينى نفسه يؤمن ايمانا عميقا بالحب الخالص . لذلك لم يكن يقدم لصديقه سوى الهدايا القليلة البسيطة ، ولكن الشعب الايطالى لم يكن يصدق أن كلاريتا لا تستغل وضعها لمصلحتها لأنه كان يراها ترتدى أفخر الثياب وتفوح منها رائحة العطر الباهظ الثمن الذى كانت دور الأزياء والعطور تتسابق لتقدمه اليها لكسب رضاها وتزكيتهم عند الدوتشى .

ولم يكن الشعب يصدق أيضا أن الماسة الضخمة التى تضعها فى اصبعها كانت هدية من أحد أصحاب البنوك الذى كان يعتقد أن نجاحه يرجع الى تدخل كلاريتا فى صفقة كبيرة أدت الى ارتفاع ربحه .

وكان الشعب يتحدث عن عائلة بتاتشى أكثر من حديثه عن كلاريتا

نفسها على أساس أن هذه العائلة تستغل وضع كلاريتا الى أقصى الحدود دون النظر الى الوسائل والنتائج . وكان الشعب يعرف أن والد كلاريتا قد أسس فيللا جميلة حديثة مغطاة من أسفل بالمرمر الاسود ، وكان يعتقد أن الدوتشي هو الذى تولى دفع نفقات البناء والاعداد ، ولكن موسوليني فى الواقع لم يدفع شيئا ، وانما أسستها العائلة من الاموال ، التى كانت تحصل عليها من الاستغلال والرشا .

وقد قام عدد كبير من قادة الحزب الفاشى بالاجتماع بشمـيانو ومطالبته باخطار الدوتشي عن روح الاستياء السائدة بصفته زوج ابنته وأقرب الناس اليه من ذوى المناصب الكبرى فى الدولة ، ولكن شيانو لم يجرؤ على فعل هذا ، ولم يجرؤ اى انسان آخر على ذكر هذا أمام موسوليني . بل كان الجميع يرون ويسمعون ويصمتون .

وعندما أعد وزير الحربية تقريرا مليئا بالوثائق والمستندات عن مدى تدهور الأوضاع الداخلية ، وازدياد الحركة المعادية للفاشية ، لم يجرؤ بوفارينى جويدي سكرتيره الخاص على تقديمه اليه .

ولم تكن هذه الحركة الخاصة بعزل الاخبار والمعلومات السيئة عن موسوليني جديدة فى الدوائر الفاشية ، فقد كان الاعتقاد السائد فى جميع أنحاء ايطاليا أن الحقائق كانت تخفى عن الدوتشي خوفا من إثارة غضبه وكان الشعب يقول : لو عرف الدوتشي كل هذا ! وذلك عندما يلمس سوء المعاملة والفضى والقسوة والمكر ، والقوانين الجائرة ، وذلك لأن الشعب كان لايزال يعتقد أن الدوتشي مازال يتمتع بصفات الألوهية ، فهو لذلك غير مسئول عن الأخطاء التى يرتكبها أتباعه الزائفون ، ولكن هذا الموقف تدهور وأخذ يتلاشى بسبب ازدياد حال السوء فى البلاد ، وبالهزيمة التى لحقت بايطاليا فى ميادين الحرب .

وبانتهاء عام ١٩٤٢ بدأ الايطاليون يشعرون بأن الدوتشي جزء لا ينفصل عن الظلم والقسوة والهزيمة ، والصعوبات ، والمصائب التى نزلت فوق رأس ايطاليا نتيجة النظام الفاشى الذى أوجده موسوليني ، ولم يستطع أن يواجه به حال الطوارئ فى البلاد وحال الحرب التى أوقعت ايطاليا فيها ، واتجهت بها الى الانهيار والخراب .

الفصل الثاني

المتآمرون

نوفمبر سنة ١٩٤٢ - ٢٤ من يولية سنة ١٩٤٣

لماذا لم يقرأ قيصر قائمة أسماء المتآمرين
عندما قدمت اليه ؟ وبما لأنه سمح بأن
يقتل شعورا منه بأنه قد بلغ النهاية .

- ١ -

قامت وحدات الجيش البريطاني في ٢٣ من يناير سنة ١٩٤٣ باحتلال
مدينة طرابلس ، وأصبح الوضع بالنسبة للكثيرين من الايطاليين أن لا أمل
من هذه الحرب ، لذلك يجب فض التحالف مع الألمان بأسرع وقت ممكن
حتى يمكن حفظ ما تبقى من ماء حياء الوجه . وفي الوقت نفسه كان هناك
القليلون من الايطاليين الذين يعتقدون أن المحور سوف يتحطم لو بقي
الدوتشي واستمر في سلطانه وهذا هو الرأي الذي كان يعتقدوه الألمان
أنفسهم وخاصة جوبلز عندما سقطت طرابلس ، وأصبحت تونس على وشك
الانهيار ، ولكن الدوتشي أكد مرة أخرى للقهور أنه سوف يسير معه
مخلصا للمحور ، وهذا أمر لا مجال للشك فيه طالما أن الفاشية في
سلطانها وأن موسوليني يتحكم في إيطاليا .

ولكن جوبلز تساءل : الى متى سيظل الدوتشي محتفظا بسلطانها ؟
وكم هو مقدار السلطة التي يملكها ويتحكم بها ويوجه الأمور ؟ لقد
عملت الارستقراطية والقصر معا على تدمير جميع قراراته ، على حين كان
القادة العسكريون على اختلاف تام معه .

وقد ذهبت المعارضة الى أبعد مما توقع جوبلز نفسه : ففي نوفمبر
سنة ١٩٤٢ انتصر مونتيجمري في العلمين وهزم الجيوش الإيطالية في
شمال أفريقيا هزيمة منكرة وبدأ سيل المؤامرات ضد موسوليني . وقد
اتخذت هذه المؤامرات شكل التلميحات والاقتراحات والمحاذات السرية ،
والاجتماعات بين البلاط الملكي وبعض كبار ضباط القيادة العامة . ولكن
المتآمرين بدعوا ينتشرون ، وبدأت المؤامرات تشق طريقها وتتضاعف
لدرجة أن الملك نفسه قد اشترك فيها . وقام وزير شئون القصر الملكي
الدوق بيترود اكوارون ، والاميرة ماريا جوزيه زوجة ابنه ووريثه
أومبرتو بالاتصال المباشر مع القادة العسكريين الذين يرغبون في
التخلص من دكتاتورية موسوليني .

وقد كتب المارشال كافيليا وهو أحد الشخصيات المحترمة المعادية للفاشية في مذكراته في شتاء عام ١٩٤٢ يقول : « لقد سمعت من مصادر متعددة أن القصر يحاول أن يجد حلا للأوضاع قبل أن يتدخل أى شخص. آخر ، لذلك يقوم الملك بنفسه بدراسة ما يمكن فعله الآن » .

وقد اتفق القادة رفاق المارشال كافيليا على أن الدوتشى ليس هو المسئول الوحيد ، لذلك ليس هو الوحيد الذى يجب تغييره : فكان الجنرال فتوريو امبروسيو الذى اشترك في الحوادث التى أدت الى اعتقال الدوتشى. فيما بعد ، يعتقد أن الملك يجب أن يذهب أيضا ، لأنه هو الذى أدى الى تمكين الفاشية من البلاد .

وقد قام بادوليو ، وامبروسيو ببحث فرص النجاح مع كل من الجنرالين جيوسيمى كاستيليانو ، وبمباروني ورسم الخطة التى يمكن اتباعها بنجاح . وفي الوقت نفسه كان هناك عدد من الوزراء الفاشيين. الذين يرسمون الخطة للإطاحة بموسوليني ونظام حكمه : أهمهم وأكثرهم خطورة هو جوسيبى بوتاي وزير التعليم والكونت دينوجراندى وزير العدل الذى كان يتمتع بذكاء مطلق واطماع لا حدود لها ، وكان هناك عدو لهم جميعا هو « جويدو بوفارينى جوينى » وكيل وزارة الداخلية الذى كان يعتقد أن اخطار الدوتشى بهذه المؤامرة بطيح بعدد من الوزراء ويكسبه ثقة الدوتشى فيه . وكان جوينى على صلة صداقة قوية بأحدى صديقات موسوليني السابقات التى كانت لا تزال تتمتع برضاء الدوتشى. وتدعى أنجيلا كورتى فحضرها على الكتابة آلى الدوتشى لتخبره بالمؤامرات التى يدبرها من حوله كل من جراندى وبوتاي ، كما دفعها الى اتهام الكونت شيانو ، وروبرتو فاريناتشى بعدم الولاء له .

ولم يتأثر الدوتشى كثيرا بهذه الحقائق ، وإنما قرر بعد مرور بضعة أيام على تلقيه خطاب أنجيلا كورتى ، أن يقوم بتغيير جديد فى الحرسى تم بإجراء تعديل فى وزارته للتخلص من الذين وردت أسمائهم فى خطاب كورتى ، فنقل الكونت جراندى من وزارة العدل الى رئاسة مجلس النواب ، وجوسيبى بوتاي من وزارة التعليم الى المجلس الفاشيىستى الأعلى ، وأسند وزارة الخارجية الى جوسيبى باستيانينى بدلا من الكونت شيانو الذى أرسله سفيراً أمام البابا .

وكان موسوليني فى حالة ضيق شديد فى هذا الوقت لذلك قال لشيانو : « يجب أن تعتبر نفسك فى اجازة الآن » ولكنك سوف تعود مرة أخرى » .

وكان الكونت أوجو كافيليرى قد طرد فى ٣١ من ينايرى قبل التعديل. الوزارى بستة أيام من رئاسة أركان حرب الجيش نظراً للهزيمة العسكرية التى أصيب بها الجيش الايطالى فى شمالى افريقية ووضع مكانه الجنرال امبروسيو الذى كان غارقاً حتى أذنيه فى المؤامرة ضد موسوليني والذى كان مكروها لدرجة خطيرة من جانب هتلر والقادة الألمان أنفسهم .

وبحلول الربيع تشعبت المؤامرة ونمت وأزدهرت ، فأصبح هناك مؤامرات ضد الملك ، ومؤامرات ضد الفاشية ومؤامرات ضد الألمان . وكان

موسوليني يتجاهل جميع التقارير التي ترد اليه من زوجته راشيل وأخته
ادفيجي متمللا بأنهما يبالغان في الموقف .

وفي ابريل ذهبت أنجيلا كورتى اليه لتخبره أن الملك لا يستقبل
القادة العسكريين الثوريين فحسب ، وإنما يستقبل أيضا رجال السياسة
المعادين للفاشية ولكن موسوليني رد عليها قائلا : أنه يشق ثقة تامة في
ولاء الملك له لأن القصر بعيد كل البعد عن معرفة الرأي العام الحر .

وبعد عدة أسابيع قليلة حذر سكرتير الحزب الفاشي موسوليني بأن
تخبره أن ابن بادوليو قد أعلن في مراكش أن والده سوف يخلف موسوليني
في القريب العاجل ، وأن هناك الكثير من التقارير الواردة من جميع أنحاء
إيطاليا تشير إلى أن الفاشيين يعدون العدة لتدميره في الحال . ولكنه لم
ياخذ هذا التحذير مأخذ الجد ، حتى البابا نفسه عرض عليه أن يستقبله
في السر لاعتناقه بيانات ومعلومات لا يعرفها وتعلق بحياته ووضعها ،
ولكنه رفض وأعلن أن الملك من أعز أصدقائه ومن المخلصين له .

وبقي موسوليني غير مهتم تماما بأعدائه وخصومه ونشطاءهم
المعادين ، لأن كل ما كان يشغل ذهنه هو كيفية سير الحرب ، ونتائجها
المتوقعة ، ولأنه كان يعتقد اعتقادا جازما أن الوضع السياسي داخل
البلاد يتوقف تماما على الوضع العسكري والحربي : أي أنه لو استطاع
أن يحقق انتصارا حربيًا ، لاستطاع أن يخرس السنة المعارضة ..

واستمر يؤكد أن الانتصار الحربي مازال ممكنا إذا استطاع الجيش
أن يوحد صفوفه .

وليس هناك من شك في أن انسحاب روميل كان سيطيح عمر
الحرب ، ولكن النتيجة النهائية كانت معروفة : فقد كان الوضع في
تونس في غاية الخطورة ، ولكن كان من الممكن معالجته على حسب عقيدة
موسوليني عن طريق التفاوض مع روسيا من أجل الصلح الأمر الذي
سوف يحرر ألمانيا من الجبهة الروسية وتعمل على تكتيل قواها في منطقة
البحر الأبيض .

وفي ٢٦ من مارس ١٩٤٣ كتب موسوليني إلى هتلر يهنئه على
قدرته على تجميد الجبهة الروسية بعد معركة ستالينجراد ، واقترح
عليه أن ينهي هذه الحال مع روسيا بعد أن أصبحت في حال لا يمكن معها
أن تستمر في أية حرب ولكن هتلر لم يكن في نيته أن يفعل ذلك
فقد سيطرت عليه الفكرة الجنونية من أجل هزيمة روسيا وكانت
الظروف التي أحاطت بالأوضاع في إيطاليا في الآونة الأخيرة ونقل شيانو
من وزارة الخارجية إلى منصب سفير لدى الفاتيكان قد أثار مخاوف
هتلر ، لذلك طلب من موسوليني أن يحضر اليه في ألمانيا لبحث جميع
الأوضاع من جميع زواياها ، وعلى هذا نظم الاجتماع ليعقد في ٧ من
ابريل في قلعة كليسمبايم بالقرب من سالزبرج .

ولم يكن موسوليني راغبا في الذهاب ، فلم يكن قد شفى تماما
من الأمراض التي هاجمته ، وكان يخشى أن يحتقره الألمان إذا راوه

يسافر ويجانبه طبيبه الخاص ليحقته ، وطباخ ليعده له غذاء خاصا .
ولكنه بالرغم من ذلك قرر الذهاب الى ألمانيا ، وقد وصفه جوباز في
مذكراته بأنه « كان يبدو رجلا عجوزا محطما لا أمل له في الحياة » .

وعند وصوله كان قد نسي تماما قراره الخاص بتصميمه على ضرورة
توقيع الصلح مع روسيا ، وعلى ضرورة عودة القوات الإيطالية من الجبهات
المختلفة للدفاع عن الوطن ، وعن طلب معونات عسكرية واقتصادية من
ألمانيا . ولم يتذكر حاجة أوروبا الى ميثاق أوربي جديد من أجل اقرار
السلام في الغرب ، وهو الامر الذي بحثه باستفاضة في روما .

وكان يتحدث بروح منكسرة وبقلب مليء بالحزن والكآبة ، وأخيرا
قرر التحدث والاكثفاء بالاستماع الى احاديث الفوهرر وشرحه للموقف
وتفصيله وتحليلاته . وكان يستمع وهو يفكر في مدى ما عزم عليه
- هتلر للقيام بأعمال عدوانية جديدة في روسيا ، ومدى مأسوف يصيب
القوات الإيطالية في تونس نتيجة هذا العمل .

وفي اليوم التالي اضطر موسوليني أن يترك مكان الاجتماع حين
أصيب بمفص حاد في معدته ، ويذهب الى طبيبه الخاص الذي أعد له
الدواء اللازم ، وكان الحزن والأسى يبديان على وجه موسوليني بعد أن
عرف نيات هتلر في عدم التخلي عن الجبهة الروسية .

وفي طريق عودته الى إيطاليا بدأت صحة موسوليني تتحسن وبدأ
يمارس النشاط الدكتاتوري الذي كان يمارسه عادة عند عودته من ألمانيا
- باستمرار فأخذ يهدد بإلقاء القبض على معارضيه ، وأعطى أوامر بأعداد
سجون لعدة الفاشية وطرد كارمين منيسي رئيس البوليس لانه لم
يستطيع وقف تيار الاضرابات بشدة في ميلانو وتورين ، واكتشف
الطبعة السرية للصحف والنشرات السرية ، ووقف نشاط السوق السوداء
- وعين مكانه سنزو شيرتشي الذي كان يتصف بالقسوة والعنف . وطرد
أيضا الدوفيدوسوني من سكرتيرية الحزب ووضع مكانه سكورزا وهو
أحد شباب الفاشية الذين اتهموا باغتيال زعيم الأحرار جيوفاني
ماندولا في عام ١٩٢٥ . واستمر في تنفيذ خطته ووضم تنظيمات
جديدة للحزب الفاشي في جميع المناطق والأقاليم حتى تستطيع أن تحت
الشعب وتشجعه على الحرب الى الموت .

وفي العيد السنوي للاستيلاء على أديس أبابا تحدث الى الجماهير
من « فرالدة » قصر بلازوفينيسيا وأعلن : « انني أشعر أن أصواتكم
ترتفع بالإيمان العميق النظيف ، هل تخشون ألا يكون مصيركم هو
النصر ١٠٠٠ ؟ لا ومن المؤكد أن تضحياتكم سوف تكافئون عليها » . وهذا
أمر لا جدال فيه مثل حقيقة وجود الله واستمرار بقاء إيطاليا أبدا الدهر »

وبعد يومين من هذا الحماس المؤقت انهار موسوليني تماما فقد
وردت اليه أنباء تؤكد أن قوات المحور في افريقية قد حوصرت ، وأن
هناك قوات غربية في طريقها الى النزول على سواحل البحر الابيض .
وكان هتلر يعتقد أن الهجوم سوف يقع على جزيرة سردينيا ولكن

موسوليني كان يعتقد أنه سوف يقع على صقلية ، لذلك أمر بعقد اجتماع عاجل للقادة العسكريين حيث طلب منهم ضرورة المقاومة بعنف لانه لامل هناك لوضع تسوية سياسية أو توقيع معاهدة صلح منفصلة .

وفي ١٠ من يولية وقع الهجوم بعد اللقاء عدة قنابل قوية على طول الساحل ، وفي خلال ايام قلائل كانت قوات الحلفاء تندفق عبر سهول . « قطنه » وكان موسوليني يتراجع بين الهدوء والثورة والغضب خلال هذا الاسبوع على حسب مدى صمود أو تقهقر قواته .

وبعد أن كان الملك يتردد في اتخاذ خطوة حاسمة ايجابية للوقوف مع المتأمرين صمم على عدم التراجع والتأخر : فقد قرر بنسائه على نصيحة الجنرال كاستيلانو والدوق دي اكوارون أن يعتقل موسوليني يوم الاثنين أو الثلاثاء عندما يذهب الى كورينالي أو فيللا سافوي ، وطلب من المارشال بادوليو أن يخبره : هل هو مستعد لتولى زمام الأمور في البلاد أو لا ؟ فأعلن بادوليو أنه على أتم الاستعداد واقترح اقامة حكومة غير فاشية تضم عناصر مثل ايفهاو بوتومي الاشتراكي وبعض رؤساء الوزارات الآخرين .

وبعد ذلك اجتمع كاستيلانو ودي اكوارون لبحث تفاصيل القبض على الدوتشي والعمل اللازم للتيقن من أن مؤيدي موسوليني لن يقوموا بعمل يفسد هذه الاستعدادات وخاصة الجنرال جالياني الذي عين قائدا لقوات المايليشيا الفاشية .

وفي الوقت نفسه صمم المتأمرون الفاشيون على أنهم لن يستطيعوا الانتظار أكثر من ذلك ، لذلك قرروا بحث اجتماع للمجلس الفاشيستي الأعلى الذي يعتبر أعلى سلطة دستورية في البلاد ، والتي لم يجتمع منذ اعلان الحرب . وفي ١٦ من يولية صمم عدد كبير من كبار الرسميين في الحزب الفاشي قبل غزو بنيشيل على ضرورة عقد اجتماع للمجلس للحصول على تقرير عن الأوضاع العامة من موسوليني ، وهي الأوضاع التي اخلت تزداد سوءا يوما بعد يوم . وقد رفض موسوليني في بداية الأمر ، ولكنه عاد ووافق على ذلك وحدد يوما لذلك هو يوم السبت ٢٤ من يولية .

وفي يوم الاثنين من ذلك الاسبوع طلب هتلر من موسوليني الاجتماع به مرة أخرى في ايطاليا لأمر هام وعاجل . وكان هتلر قد بدأ يشعر بالقلق والخوف نتيجة التقارير التي كانت ترد اليه عن الشعور المعادي لألمانيا في ايطاليا وعن القوات الإيطالية التي تستسلم بالجملة: في صقلية ، وعن رفضها التعاون مع الجيش الألماني ، لذلك كان يامل أن يشد من أزر المقاومة الإيطالية عن طريق حض الدوتشي على الموافقة على وضع جميع القوات الإيطالية تحت القيادة الألمانية العليا .

وبناء على هذه الدعوة طار موسوليني في طائرته الخاصة من رميني الى تريفيسو حيث قابل هتلر في المطار وصحبه الى فيللا عضو مجلس الشيوخ « اشيللي جاجييا » في « فلثري » التي على المنحدرات الجنوبية لمقاطعة دولومايت . وكان جو الاجتماع رسميا للغاية .

وكان هذا الاجتماع هو الاجتماع الثالث عشر لهما وسار في الاتجاه الذي كانت جميع الاجتماعات السابقة تسير عليه : استمر هتلر يتحدث ثلاث ساعات حديثا صريحا ومباشرا . وكان أمامهما شيء واحد فقط . لعمله وهو الاستمرار في الحرب في ايطاليا وروسيا أيضا حتى ينتصر المحور . وكان هذا القرار يتطلب المزيد من التضحيات : فقد جندت ألمانيا الأولاد الذين يبلغون الخامسة عشرة من عمرهم للعمل على البطاريات المضادة للطائرات . أما في ايطاليا فقد كان الموقف يختلف عن ذلك كثيرا . فلم تقم القوات بالمساهمة في الحرب كما يجب ، كما أن الإدارة المدنية لم تكن تلتقي احتراماً كافياً ، وأصبح الشعب يتقبل روح الهزيمة بقبول وراحة وعدوه ، لذلك يجب اتباع وسائل عنيقة ومختلفة للتغلب على هذه الأوضاع ، كما يجب اعدام الجبناء والخونة وغير القادرين على الوقوف في الميدان .

وكان موسوليني يجلس مستمعاً الى هذا الحديث بصمت وقد عقد يديه على صدره ووضع إحدى رجليه على الأخرى ، ولم يتحدث سوى مرتين : مرة لتصحيح بعض التفسيرات الخاطئة بالنسبة لسكان كورسيكا ، ومرة أخرى عندما حضر سكرتيره الخاص ليقدم له ورقة ، وأعلن بأسى . « أن الأعداء في هذه اللحظة يقومون بهجوم جوى عنيف على روما » .

وبعد مناقشة بسيطة عن الفارة الجوية استأنف هتلر حديثه على حين كان من الواضح جداً أن موسوليني لم يعد يستمع اليه بالمسرة . وحينما انتهى الحديث وانتقل الجميع للغداء انحنى موسوليني على سفيده في برلين وقال : « انني أشعر بالهم وحزن عميقين لبعدي في هذا الوقت عن روما ، ماذا يظن أهالي روما الآن ؟ » ، ولكن الأعضاء الثلاثة المرافقين له - باستيانيني وكيل وزارة الخارجية والفيرا سفير ايطاليا في برلين ، والجنرال امبرسيو رئيس أركان حرب الجيش - لم يكونوا مهتمين بما يقول أهالي روما ، وإنما ركزوا اهتمامهم على الضغط على الدوتشي للرد على اتهامات الفوهرر ، وأخباره بأن ايطاليا قد أصبحت على حافة الهاوية ولا تستطيع أن تواصل الحرب ما لم تعلق مساعدات ضخمة في جميع الميادين .

وخلال عودة موسوليني من تريفيزو ، كان الوفد الايطالي في هذا المؤتمر لا يعرف ماذا جرى من حديث بين الدوتشي والفوهرر عندما تركا وحدهما بعد الغداء . وكل ما ذكره ماكنزن سفير ألمانيا في ايطاليا أنه على ثقة من أن الزعيمين سوف يتوصلان الى قرارات في غاية الأهمية بالنسبة للموقف والعلاقات بين البلدين . وظل الجميع يراقبون الرجلين وهما يخرجان من محطة تريفيزو ويستقلان العربة التي أقلتتهما الى المطار وكان كلاهما يبدو في حالة هدوء ورضا تام .

وركب هتلر طائرته عائداً الى ألمانيا ، على حين وقف موسوليني في كامل انتباهه وهو يحييه التحية الرومانية المعروفة ، ثم تحول موسوليني فجأة وأسرع الى طائرته الخاصة في الوقت الذي أسرع فيه المرافقون الثلاثة اليه - امبرسيو والفيري ، وباستيانيني . وكان موسوليني يحاول أن يتجنبهم ، في حين كان الفيري يخشى أن تفلت الفرصة دون

أن يذكر موسوليني أى شيء فتغلب على خسوفه وذهب إلى موسوليني وسأله : هل هناك أية تعليمات يرغب في إصدارها قبل أن يعود إلى السفارة في برلين ، فجاهه موسوليني جانباً وقال له : « اننى لست في حاجة الآن للتحدث إلى هتلر بالطريقة التي اقترحتها ، لأن هتلر نفسه قد وعد بكل اخلاص أن يرسل جميع المساعدات التي طلبناها منه . ويجب أن تكون طلباتنا هذه المرة معقولة ومناسبة للظروف » .

ولكن هذا الوضع كان وهماً كبيراً ، فقد عرف امبرسيو من أحاديث المارشال كيتل أن جميع المطالب المعقولة التي تقدم بها الايطاليون لن تتحقق مالم يوافق الدوتشي على الشروط التي رفضها من قبل رفضاً قاطعاً . وكان يشعر ان موسوليني كان يرفض أن يواجه مشكلاته ، وأن موسوليني لن يستطيع أن يقدم على تنفيذ تهديده للألمان ويوقع اتفاقية صلح مع الدول المتحالفة وبذلك أمن أن السبيل الوحيد هو ازالة موسوليني عن السلطان .

- ٢ -

وبعد عودة موسوليني من فيلترى ، توجه موسوليني مباشرة إلى الملك لتقديم تقرير إليه عما تم في هذا الاجتماع . وقبل أن يغادر القصر أخبر السناتور منليو مورجاني رئيس وكالة استغاني للأخبار « ان الألمان مازالوا أقوياء لدرجة يستطيعون معها الوقوف في وجه أى تيار في العالم حتى حل الموقف في ايطاليا نفسها ولكن لكي يقوموا بذلك يريدون السيطرة التامة لا في الجبهة الإيطالية فقط بل على الوضع الداخلى أيضا . وهذا شرط لا يرضاه الشعب ولا الملك وكذلك أنا » .

وكان امبرسيو قد أخبره من قبل ما ذكر هتلر في اجتماع فيلترى ، وأكد للملك أن موسوليني كان يبدو غير قـاـدر من الوجهتين الصحية والأدبية على عرض المسألة الإيطالية على حقيقتها في هذا الاجتماع .

ثم أشار إلى ازدياد الشعور المعادى للدوتشي في ايطاليا ، وتعدد المؤامرات التي تحاك حوله .

وبعد مرور عدة ساعات أخطر روبرتو فاريناتشي موسوليني أن كلا من البلاط الملكي والكونت جراندى يدبر مؤامرة للإطاحة به حتى يمكن الانفصال عن ألمانيا . فرد موسوليني قائلاً : « ان هذا مستحيل لأن الملك نفسه أكد وقوفه بجانبى ومساندته لى بعد ماقمته لاطاليا من خدمات » ثم جاء سكورزا - وحذره تحذيراً آخر انه قد استمع إلى محادثة تليفونية بين بادوليو والدوق ذى اكوارون ، ولكن موسوليني رفض أن يسمع مادار من حديث ، ونعت هؤلاء الأشخاص بالجبن والذالة .

وفي مساء هذا اليوم نفسه ذهب موسوليني ليشاهد بنفسه ماأحدثته غارة يوم ١٩ من يولية من خراب ودمار في أحياء روما ، وكان الدخان والأتربة يتبعثان من الحطام الذي اسفرت عنه الغارة ، وكان الدوتشي ينظر إلى كل هذا بالأم وأسى ويأس . وكانت هذه القنابل هي القاتل الأول الذي خلق المؤامرات وقوى مركزها وهدأها الطريق . وبذلك لم

يعد أي إنسان يفكر إلا في حيك المؤمرات وتنسيق الخطط . ولم يكن هناك أي إنسان يتوقع ماسوف يحدث ، بالطريقة التي لم يكن يعرف أي إنسان مايجب أن يحدث بها .

وقد ذكر باستيانيني أن موسوليني قد دفع إيطاليا إلى الانهيار والحرب ، على حين أكد فيتوريوسيني وزير المواصلات أن موسوليني قد ذهب عقله لذلك يجب إبعاده عن كرسي الحكم وقد ظل شيانو في صمته وخطئه السرية على أساس أنه الخليفة الوحيد لكرسي موسوليني .

وكانت كل هذه الاتجاهات والآراء تدل دلالة قاطعة على قرب حلول الكارثة بالدوتشي . . . كانت روما نفسها تختنق وتتملج من اليأس والأمل الذي يراودها وتتوقع حدوث مأساة أكبر في أداة الحكم .

الفصل الثالث

اجتماع المجلس الأعلى

٢٤ - ٢٥ من يولية ١٩٤٣

لقد حضرت الى روما لكي احتفظ
بالسلطة والحكم اطول مدة ممكنة .

- ١ -

في مساء يوم ٢١ من يولية توجه دينو جراندى الى شارع فردناند
و دي سافوي لمقابلة «فدرزوني» رئيس الاكاديمية الايطالية في ذلك الوقت،
وسلمه نسخة من مشروع القرار الذي كان يهدف الى تقديمه للمجلس
الأعلى في الاجتماع الذي تقرر عقده .

وكان مشروع القرار يبدو في اول نظرة غير ضار ، في الفاظه
والنقاط التي عالجها ، ولم يخرج عن ذلك سوى الجملة الأخيرة التي كانت
تطالب « باعادة جميع سلطات الدولة على الفور الى اختصاصات الملك ،
والمجلس الأعلى والحكومة والبرلمان والهيئات ، وتوزيع المسئوليات كل
فيما يخصه على حسب ما نصت عليه جميع اللوائح والقوانين الدستورية»
وطالب هذا القرار بضرورة تسليم جميع سلطات القوات المسلحة العليا
وتوجيهها الى الملك . وكان هذا يعني أن يسلم موسوليني جميع سلطاته
الحالية ويكتفي بالسلطات التنفيذية فقط .

وقرأ فدرزوني هذه الورقة بصمت وحذر ، على حين كان جراندى
يراقبه باهتمام وهدوء خشية أن يكون قد تسرع في تسليمه صورة هذا
القرار ، ولكنه استراح عندما سمع فدرزوني يقول : «علينا أن نحاول كل
شيء واي شيء حتى المستحيل ، لكي ننفذ الأمة من الدمار الشامل » . فاذا
فشلنا في محاولتنا فان تضحيتنا سوف تكون الشعلة التي تلهب مشاعر
الشوار وتثير حماس الشعب » .

وبعد أن شعر جراندى بقوة مساندة فدرزوني اتجه بعد ذلك الى
جيوسيبي بوتاي وجيوسيبي باستيانيني ، واومرو البيني وهم من أكبر
أعضاء المجلس الأعلى نفوذا وقوة . ووافق الجميع على مساندة هذا القرار
في الاجتماع وكان جراندى يشعر بارتياح كبير عندما فعده بوتاي
بمساعده لأنه كان على ثقة من أن هذا الرجل لا يتأرجح ولا يغير من رأيه ،
وأنة لن يتوقف عن مساندة هذا القرار عندما يتطلب ذلك مواجهة
موسوليني في اجتماع المجلس الأعلى . ولكنه في الوقت نفسه لم يكن
واثقا من موقف باستيانيني ، والبيني ، وذلك لأن باستيانيني الذي خلف

شيانو في وزارة الخارجية لم يكن يشارك بوتاي في حماسته ورأيه ضد الدوتشي ولكنه كان مقتنعا في الوقت نفسه بأن الحرب سوف تقسود إيطاليا الى الدمار ، وأن تغيير موسوليني كرئيس للحكومة سوف يخلق امكانية للتفاهم من أجل اقرار اتفاقية صلح منفصلة . وعلى هذا الاساس أقام عدة اتصالات مع السفارات المحايدة في روما بقصد معرفة رأيها في هذا الموضوع . وكان حريصا ودقيقا ومنظما في خطواته وتصرفاته لذلك لم يكن يوجه اتهامات عنيفة أو قوية ضد الدوتشي في الاجتماع وكان يبدو أنه لن يصوت من أجل مشروع قرار جراندى .

أما البينى الذى تولى وزارة الداخلية محل جويندى فكان مقتنعا تماما بأن الجبهة الداخلية قد أصيبت بنكسة قوية ، وأن البلاد في طريقها الى الانهيار والضياع ، لذلك يجب تغيير موسوليني ، ولكنه في الوقت نفسه لايجزؤ على انتهاج موقف عدوانى ضد موسوليني ، واعتمد فى ذلك على بوتاي . ولم ينتهج البينى وباستيانينى هذا الموقف وحدهما ، وانمسا سار فى اتجاههما عدد كبير من أعضاء المجلس الأعلى .

وقد فوجيء جراندى بأن كارلو سكورزا سكرتير الحزب الفاشيستي يوافق على هذا القرار يوم ٢١ من يولييه فى مركز الحزب الفاشيستي ، ولكنه اتخذ لنفسه الحيطة بأن تنقل نسخة من هذا القرار الى موسوليني نفسه ، عندما يذهب اليه فى ظهر هذا اليوم لتقديم تقريره اليومي المعتاد .

وقد قرأ موسوليني هذا القرار بسرعة ولم يعلق عليه وتركه جانبا فى حقيبة التقارير الخاصة . وعندما غادر سكورزا بلازو فينيسيا وضع لنفسه قرارا آخر كان يهدف الى تقديمه للمجلس الأعلى كبديل لمشروع قرار جراندى .

- ٢ -

وبعد أن تيقن جراندى أنه حصل على تأييد كل من قدرزوني وبوتاس ، وباستيانينى ، والبينى ، والى حد ما سكورزا ، توجه الى مقابلة الدوتشي . ولم يكن يرغب فى أن يتحول الى متأمر ، لأنه كان على ثقة من أنه سوف يستطيع أن يحمل موسوليني على قبول معظم ما ورد فى قراره .

وفى الساعة الخامسة من مساء ٢٢ من يولييه ١٩٤٣ استقبل موسوليني السنينور جراندى فى قاعة الخرائط « ماباموندو » فى قصر بلازو فينيسيا ، وكان الدوتشي يقف وراء مكتبه الضخم يراقب جراندى ببرود وسلبية مطلقة كلما اقترب منه . ولم يطلب منه أن يجلس بل جعل جراندى يقرأ عليه القرار ويطلب الدوتشي بتأييده . وظل موسوليني يستمع اليه وهو يراقب تعبيرات وجهه وانفعالاته دون أن يقاطعه . وبعد أن انتهى الكونت جراندى طلب منه موسوليني أن يتركه وقال له : « سوف نلتقى فى المجلس الأعلى » .

وعند خروج جراندى من بحجرة الاجتماعات حيث شاهد خدم القصر يضعون المقاعد وينظمون أماكن جلوس الأعضاء . وكان الفيلد مارشال كيسيلرنج يجلس على أحد المقاعد منتظرا الاذن له بالدخول لمقابلة الدوتشي .

وفي مساء اليوم السابق للاجتماع طلب بوتاي من جراندى وشيانو الاجتماع به في منزله . وكان ضيفاه في غاية الضيق والملل ، لذلك لم يستطع الثلاثة الاتفاق على سياسة موحدة ، فقد كان يبدو أن شيانو يشك في أن جراندى يرغب في عزل موسولينى حتى يحتل مقعده أو يمنحه فدرزوني ، على حين كان جراندى يشعر بأن شيانو قد يتغير في أية لحظة الى موسولينى والد زوجته ، وكان بوتاي يعتقد أنه من الضروري وضـم جميع السلطات السياسية التي تسـحب من موسولينى في أيدي الملك والقوات المسلحة ، المجلس الأعلى ، ولكن الآخرين لم يكونوا يؤمنون بهذه الفكرة .

واستمرت المحادثات بين الرجال فترة طويلة دون الوصول الى رأى حاسم ، وعندما غادر شيانو المكان ، لم يكن بوتاي أو جراندى على نقة من أن شيانو سوف يؤيد موقفهما .

وعندما حان صباح اليوم التالي كان شيانو قد استقر على رأى . وفي ظهر اليوم نفسه استدعى دينو الفيرى سفير إيطاليا في برلين لحضور الاجتماع في مساء هذا اليوم نفسه ، ولقابلة المسئولين في وزارة الخارجية ، وعندما وصل روما قابل باستيانيى حيث وجده صامتا ومشغولا ، ثم اجتمع بعد ذلك بالكونت شيانو الذي عمل على ازالة جو الوجوم والصمت ، وخلق روح من الود والصداقة . وقال شيانو في ذلك الوقت موجها الحديث الى الفيرى : « اننى جد مسرور لحضورك اليوم . لقد اتفقنا على أن نعمل المستحيل من أجل انقاذ إيطاليا » . « انه - ذو الرأس الضخم - يرفض أن يفهم الأوضاع على حقيقتها . أما اليوم فقد قررنا أن نتكلم بكل صراحة وأن نجعله يفهم الموقف تماما في اجتماعات المجلس الأعلى » .

وأخبر شيانو السفير الفيرى أنه كان في طريقه لابلاغ موافقته بالتأييد لجراندى ، وطلب منه أن يقف الموقف نفسه . ووجد جراندى مرتديا ملابس رياضية في مكتبه بمجلس النواب ، فاستقبلهما بحرارة وقدم اليهما نسخة من مشروع القرار . وقراء الفيرى بسرعة وأعلن انه يرى فيه الاعتدال والادب ، ولكنه يود أن يستفسر عن نقطتين . ولكن شيانو قال له : « أن هذا المشروع ليس الا مذكرة سوف يدخل عليها عدة تعديلات في أثناء المناقشة » وسوف تعامل الدوتشى بكل احترام وأدب كما هي عادتنا دائما .

وعلى هذا الأساس وافق الفيرى وأدرج جراندى اسمه بالقلم الأزرق في أسفل قائمة المؤيدين . وكان جراندى لا يثق أبدا في أن جميع هذه الأسماء سوف تؤيده في المجلس سوى فدرزوني فقط لذلك بدأ يفكر في إمكانية القيام بانقلاب وذلك بعد أن أصبح يخشى أن يقوم الدوتشى بالقبض عليه بعد أن عرف موقفه تماما وتحريضه لكبار رجال الدولة ، وكان على ثقة تامة بأنه لو تم القبض عليه لابتعد عنه جميع مؤيديه ، ولانضموا جميعا الى جانب الدوتشى مهما يحدث بعد ذلك .

وعندما ارتدى جراندى القميص الأسود الذى عرف باسم «الصحرَاء» Sahariana والذي أمر موسولينى جميع أعضاء المجلس بارتدائه ،

وضع مسدداً صغيراً في جيب سرواله ، وعدة قنبايل يدوية في حقيبة يده . وفي الساعة الرابعة والنصف ترك منزله متجهاً الى قصر بلازو فينيسيا حيث وجد عدة مجموعات صغيرة من جنود الماشيشا الفاشية في الساحة الداخلية للقصر ، وآخرين داخل القصر نفسه . وفي هذه اللحظة فكر الكونت جراندي أن هذه هي النهاية بالنسبة للجميع ، وبدأ يشمر أنه لن يخرج حياً من هذا الاجتماع !

وكان موسوليني يجلس منذ فترة في مكتبه بعد أن تناول غداءه كالمتأد مع زوجته راشيل في فيللا تورلونيا . وكان كل شيء يبدو عادياً ، ولم يكن يقلقه سوى الدبابات الأمريكية الجديدة التي بدأت تظهر في ميادين الحرب . وعندما ترك الفيللا في طريقه الى الاجتماع طلبت منه راشيل أن يقبض على جميع الذين تأمروا ضده قبل افتتاح الجلسة ، ولكنه لم يرد عليها بل قبلها واستقل سيارته الى المجلس .

وعندما بدأ الاجتماع انتقل الى القاعة وهو ممتلئ بالثقة والاعتداد بالنفس ، فلم ينظر الى الاعضاء الذين قفروا على اقدامهم وقوفاً حينما دخل عليهم وحينما صاح سكورزا « ليحيى الدوتشي » . ولكنه لم يبد أي أثر لهذه الصحة التقليدية الموجهة الى زعيم الفاشية في إيطاليا . وجلس أمام المنضدة المخصصة له يستمع الى سكورزا وهز ينادي الحاضرين ، وبدأ يسحب بعض الاوراق التي وضعها امامه رئيس ديوان التشريعات . وكان يرتدى بعكس الآخرين البذلة الرسمية الخضراء التي ترتديها القوات غير النظامية الفاشية ، وكان هذا يدل على عظمة موسوليني وأتمائه الى فئة أخرى غير الفئة التي يجلس بينها . وكان موسوليني يرمق الحاضرين من مقعده المرتفع بنظرات ثابتة تدل على مدى قوة الشخصية وتسلطها ، وهذا ما جعل بوتاي يرتعد ويخشى ان تكون الفاشية قد بعثت من جديد .

وكان غالبية الحاضرين من الاعضاء ينظرون اليه على انه اعظم ابن أنجبته إيطاليا على حين كانت هناك فئة قليلة تعارض هذا الرأي ، وفئة نائلة لا تعرف طريقها . ولكن موسوليني كان قد أصبح يعيش بانطباعات الماضي وهي : الطاعة العمياء ، والتعلق ، والثقة المطلقة . وكانت الشعارات التي تاصق على الحوائط تقول - « ان موسوليني على حق دائماً » - لا تعتبر نوعاً من الاعجاب بعظمة زعيم الشعب ، ولكنها كانت تعتبر حقيقة واقعة لا يمكن أنكارها . وقد أدت هذه الثقة بالعظمة الذاتية ، وبالصيانة من الزلل ، وبالتفوق المطلق على جميع الايطاليين - أدت جميعها الى عدم استطاعته التمييز بين ما يقدمه المخلصون له من ولاء وصدق وخدمات ، وبين الاخطار التي يخلقها حوله المعادون له ، والذين يعتقدون أنه يؤدي أعمالاً لا تمت الى العقل والمنطق بصلة . ولم يهتم موسوليني في ذلك الوقت باعداد خطبة يفتتح بها أعمال المجلس ، لأنه كان على ثقة تامة بأن صوته يكفي تماماً لأخراص أصوات المعارضين له .

وبإتداء خطابه بصوت جهوري يشبه المدرس الذي يقوم بالقاء محاضرة يحفظها عن ظهر قلب ، فقال : « لقد دخلت الحرب مرحلة خرجة خطيرة لقد أصبح المستحيل ممكناً حتى بعد دخول الولايات

المتحدة الحرب في منطقة البحر الأبيض . . . لقد بدأت الحرب الحقيقية
تتشق طريقها بعنف وقسوة وفي هذا الوقت الحرج بالمثل بدأت اتجاهات
الرأى الرسمية وغير الرسمية ، المعروفة ، والسرية تعادى النظام القائم
وتعادينا . . . »

وكانت خطبة طويلة دلت على مقدرة موسوليني الخطابية الفسدة :
فكان يمتدح ويلد ويمنح الصفات الطيبة ثم يتهم ، ويررر تصرفاته ثم
ينحرف في حديثه ، وكان يتحدث دون النظر الى مبدى الاقتناع أو
الصدق . وكان في الوقت نفسه يضغط بيده على معدته التي أخذت
تؤلمه من جديد .

ثم تناول موسوليني جميع الأمور الحالية من جميع زواياها
فتحدث عن موقف الألمان ، وامتدح مساعدتهم الفنية والمادية لإيطاليا ،
ولكنه لم يذكر الثمن الذي دفعته إيطاليا ، وتحدث عن اطماع بريطانيا
فذكر أنها تنظر الى المستقبل لمدة قرن على الأقل لكي تحفظ لنفسها
الأكالات الخمس اليومية وتحدث عن الحرب والسلام ، وعن الاستسلام
أو المقاومة حتى النهاية ، وتحدث عن السبب في عدم تخليه عن قيادة
القوات المسلحة في الميدان وهو مريض مؤكدا أنه لا يستطيع أن يترك
السفينة وسط العواصف والأزمات ، وتحدث عن اطماع إنجلترا في
احتلال إيطاليا . واستمر يتحدث هكذا زهاء الساعتين في حين كان
أعضاء المجلس ينظرون اليه في سكون ووجل وعندما انتهى تماما من
كلمته سقط مغشيا عليه . وقد كتب الفيرى بعد ذلك عن مدى خيبة
الآمل التي أصيب بها الحاضرون بعد أن انتهى من حديثه . وكان هذا
الحديث في نظرهم أضعف تفسير تحدث به موسوليني في حياته . ولكنه
كان في الوقت نفسه فصل الخطاب .

وقد ساد القاعة لأغواء الدوشى وجوم وصمت لعدة لحظات ،
وأخيرا وقف المارشال دي بونو . وهاجم بطريقة مقنعة السياسيين الذين
يلومون قادة الجيش ، على حين يجبر أن يواجه اليهم اللوم هم أنفسهم لانهم
هم الذين اختاروا هؤلاء القادة . وكان هذا الرأى تعبيرا عن رأى زموله
الملكى دى فيتشى الذى وقف وأيده ، ولكنه في الوقت نفسه وضع بعض
الملاحظات بشأن حلفاء إيطاليا الألمان .

وفي هذه اللحظة اعترض روبيرتو فاريناتشى على هذه الإقتوال
وامتدح قوة الألمان وعزيمتهم ، واستمر هذا الجهرج وكيل التهم
وتبادلها بين الأعضاء الى أن وقف بوتاي بعد أن تيقن أن الاجتماع يهدد
بالغوصى ، واعترض على وقوف دى فيتشى والتحدث في أول الأمر .
وقد استمع الأعضاء الآخرون لكلمته ، وعرفوا أن هذه أول مرة ينتقد
الأعضاء موسوليني في حضرته . وكان موسوليني قد استعاد وعيه من
لحظة وبدأ يراقب التهم .

وبعد أن القى بوتاي كلمته تشجع بقية الأعضاء وطلبوا الحديث
وفي هذا الوقت نفسه تكلم الكونت جراندى وجلس الباقيون يستمعون
اليه وهو يقول : « اننى سوف أكرر أمام المجلس الأعظم ما سبق أن
ذكرته للدوشى أول أمس » .

وسحب صورة من القرار الذى وضعه وأخذ يتلوه بصوت واضح وهادئ ، وعندما انتهى من تلاوته تغيرت لهجته ، وأصبح صوته يقطر عنفا وقوة وفصاحة : فتحدث بمرارة عن : « الحرب الفاشية التى فرضت القيود ووضعت العراقيل » وعن تصميم السلطات العنيفة الذى لا يمرر له على مراقبة بعض الرسميات ، وعن استمرار خلق لوائح وقوانين جديدة ، وواد الحريات الشخصية ووجه حديثه الى موسوليني قائلا : « لقد فرضت الدكتاتورية على ايطاليا » وهو عمل لا يتماشى مع تاريخ امتنا العظيمة . لقد وضعت وزارات الخدمات الثلاث فى يدك لعدة سنوات طويلة ، وماذا فعلت ؟ لقد دمرت روح قواتنا المسلحة وخفقت شخصياتنا فى هذه الملابس الجنائزية . وكنت عندهم تختار احد ابناءك للمناصب الكبرى تختار أسوأهم . »

واستمر جراندى يتحدث اكثر من ساعة ، على حين كان موسوليني يسمع وهو جالس فى صمت . وكان بوتاي يظن ان موسوليني ينظر حوله فى باس ، ولكنه كان فى الواقع يحاول ان يحول نظره عن الاضواء للشديدة المنبعثة من الثريا المعلقة فى السقف حتى لا يصاب باغماء . وعندما توقف جراندى عن الكلام القى بنفسه على مقعده وقد ابيض وجهه ، وأخذ العرق يتصبب على جبينه قاضطرا ان ينزع ياقة قميصه المنشأة .

وفى هذه اللحظة قرر شيانو ان يتحدث . وتحدث بصوت رقيق أملته عليه رابطة المصاهرة . وتحدث عن الروابط الالمانية - الايطالية ودوافعها ، ولكنه حينما أنهى حديثه لم يترك أى مجال للشك فى أنه سوف يؤيد مشروع قرار جراندى . وعند ما انتهى تماما وقف فاريناتشى وعارض معظم ما ذكره شيانو ، ودافع عن موقف الالمان بكل شدة ، ثم قدم للمجلس مشروعا بديلا لمشروع قرار جراندى يعلن فيه تضامن الحزب الفاشي الايطالى مع الحزب الاشتراكي القومى الالمانى وطلب من رئيس الحكومة ان يتقدم بطلب الى الملك يطلب منه فيه تولى سلطة القيادة العليا على جميع القوات المسلحة حتى « نظهر أمام العالم اجمع بان الشعب باكماله يحارب متحدا تحت قيادته من اجل تحرير وكرامة ايطاليا » .

وكان هدف فاريناتشى من وراء ذلك هو ان يعمل الملك فيما بعد على تخويل هذه السلطة للمارشال الالمانى كيسيلرونج . وبالرغم من ان الهدف كان مختلفا مع هدف جراندى فقد اتفق الاثنان على هذه النقطة وهى ضرورة خروج موسوليني .

وباستمرار الوقت أصبح من الواضح ان أغلبية اعضاء المجلس يعتنقون هذه الفكرة ، على حين كانت البقية الباقية على استعداد لتأييد هذا القرار وفى منتصف الليل كانت المناقشات قد انتهت الاعضاء هفتحرك موسوليني وعليه سمات الامياء الشديدة وقال : « ما فائدة هذه المحاولات الآن ونحن نقف وحيدين وجها لوجه مع ثلاث امبراطوريات ؟ » واقترح على سكورزا ان يؤجل الاجتماع حتى اليوم الثانى لانه ليس على مايرام ويود ان يستريح .

وعاد جراندى بعد ذلك لمهاجته بعنف قال : « فى الماضى كنت تبقينا هنا حتى الساعة الخامسة من صباح اليوم التالى لبحث موضوعات ناضجة ، اننا لن نترك هذا المكان حتى يتم بحث مشروع القرار الذى تقدمت به والتصويت عليه » ، ووافق على تأجيل الاجتماع لمدة عشر دقائق لا أكثر .

وافق موسوليني على هذا الطلب بعد ان سقطت شخصيته الدكتاتورية . وترك بعد ذلك غرفة الاجتماع الى مكتبه الخاص كشخصية لفظها المجتمع وهجرها المجموع . وعندما مر بسفير ايطاليا فى برلين قال له : « تعال يا الفيرى » ، وعندما ذهب اليه الفيرى « كرر عليه ما سبق ان قاله فى اجتماع فيلترى وفى تقاريره اليه عن العلامات الواضحة فى قلق الشعب الالماني ، وعن تعصبهم القاتل ، وخوفهم من الجستابو ، واعتقادهم فى دعاية جوبلز . وأكد أن الشعب الالماني فى برلين يتابع الاحداث هنا بكل اهتمام ويشعر بأن التطورات العسكرية فى ايطاليا ، قد جعلت الموقف الداخلى فى وضع لا يحسد عليه » .

فسأله موسوليني بحدة قائلا : « من أخبرك هذا ؟ » فرد عليه الفيرى قائلا : « ان هذا هو الراى العام السائد فى برلين ، وقد أكد هذا الراى كثيرون من ذوى الراى فى ألمانيا » . ولكن موسوليني رفض قبول هذا الراى وهذه الحقيقة ، وقال : ان الالمان قد أساموا التفسير لأن لقاء القنابل على مدينة روما والمدن الايطالية الكبرى لها آثار طيبة على الشعب الايطالى ، اذ انها سوف تشجع وتخلق نوعا من البطولة تسامد الرجال الا يهتموا بالمخاطر ، صدقنى لقد ضللت التقارير الكاذبة اقادة الالمان . ان الزمن ما زال فى مصلحتنا .

وانتهت فترة الراحة ، ولكنها أعادت الثقة المضعفة الى موسوليني وعندما قام جالبياتى والقى خطابا ناريا فى مصلحة موسوليني صائحا بأن الشعب الايطالى قد اتحد والثف حول الدوتشى ، قرر موسوليني ان يلقي بيانا آخر . وقال موسوليني بغضب مفاجئ : « من بين التهم التى وجهت الى النظام القائم وجود عدد كبير من الاشخاص الذين أثروا ثراء فاحشا ، وأمامى الآن أسماء هؤلاء الاشخاص الذين تسكى الاتهامات الموجهة اليهم لارسالهم الى المشانق ، وأنت بالذات يا شيانو اكبر هؤلاء الاشخاص .

وقد شجعت كلمات موسوليني سكورزا فنهض واقفا وتحدث بطريقة غامضة معلنا بأن الخطأ الوحيد الذى ارتكبه الدوتشى فى حياته هو أنه لم يكن دكتاتورا بالمعنى الحرفى للكلمة ، وحاول ان يجعل دكتاتورية الحزب الفاشيستي أكثر قوة وعنفًا .

وبهذا الشكل بدأ الاجتماع يفقد نظامه ، فقد كان كل شخص يتحدث ويقاطع الآخر فى الوقت نفسه ، وأعلن موسوليني فى هذا الوقت أن فى يده مفتاح الوضع العسكرى ، ولكنه لن يخبر أى انسان عن ماهية هذا المفتاح . وقال : « اذا حاولتم ان تتخلصوا منى ، فانى سنوف اضطر ان أعلن أمامكم عن السلاح السرى الذى سوف ينهى هذه الحرب

لذلك فانكم سوف تفقدون الحرب. وتفقدوننى فى الوقت نفسه. وتفقدون رهوسكم » . وكان فاريناشى ينظر اليه فى هذه اللحظة نظيرة اعجاب وتعجب ، فى حين غمغم جراندى بأن هذا الكلام يعتبر « تهديدا » واستغلالا » .

وفى هذه اللحظة وقف الكونت جياكومو سواردو رئيس مجلس الشيوخ وأعلن انه قد قرر سحب تأييده لقرار جراندى ، وطلب من الاعضاء الآخرين الانضمام اليه لتأييد مشروع قرار سكورزا ، وبذلك خاق الكونت جوا من الذلابة والتأرجح : فقد أعلن توليو شينائيتى وزير المؤسسات والهيئات انه يوافق على هذا الرأى ، وظهر التأرجح التام على شيانو الذى طالب بتكوين لجنة خاصة لدراسة اقتراحى جراندى وسكورزا وأعداد مشروع آخر يضم أهم نقاط تضمنها المشروعان ولكن بوتوى امترض على هذا الاقتراح ، وطالب بضرورة العمل السريع ، وقبل أن يتم حديثه وقف بولفيرلى متحدئا بصوت يدل على قوة أخلاصه لموسولينى .

ثم تحدث جراندى مرة أخرى ، وكان يواجه عدة اعتراضات من « بيچينى » ووقف كارلو بارتشى وزير الزراعة يعلن مساندته لجراندى . ولكن جراندى بدأ يعترف بانقيار موقفه اذ بدأ مؤيدو سكورزا يتزايدون مطالبين باستمرار الحرب ، والاخلاص التام للنظام الفاشيستى القائم فى البلاد ، والتحالف مع المحور .

وفى حوالى الساعة الثانية والرّبع صباحا قاطع موسولينى المناقشة فجأة قائلا بصوت قظ غليظ : « لقد استمرت المناقشة أكثر من اللازم ، وأصبح أمامكم الآن ثلاثة مشروعات بقرار عليكم أن تختاروا أحدها على أن يكون لمشروع جراندى الأسبقية عند أخذ الاصوات . اقرأ الاسماء يا سكورزا » .

وحينما كان سكورزا يقرأ الاسماء من قائمة الحاضرين كان موسولينى يعمل بكسبيه الى الامام وقد وضع يده على المنضدة التى أمامه . وهو يحملق فى كل عضو يعطى صوته . وكان يحاول أن يخرق بنظراته عقول الاعضاء كما لو كان يحاول أن يؤثر فى قراراتهم بهذه النظرات . وكان قد حضر الجلسة ثمانية وعشرون عضوا كان الوحيد الذى امتنع عن اعطاء صوته الكونت سواردو ، على حين وقف سكورزا معارضا للقرار كما فعل أيضا الشىء نفسه كل من بولفيرلى ، وبوفارينى جويديو ، وجالبياتى . أما فاريناشى فقد صوت لقراره الخاص . واعطى ثمانية عشر عضوا قرار جراندى أصواتهم .

ونتيجة لهذا وقف موسولينى بعصبية وجمع أوراقه ، وفى هذه اللحظة وقف سكورزا وهتف « تحية للدوتشى » ولكن الدوتشى قال بصوت منخفض : « اننى أعفيكم من هذا » . وعندما وصل الى الباب قال بصوت يمتلئ مرارة وحزنا : « لقد فتحت الباب أمام انهيار النظام للقائم » . ثم توجه بعد ذلك الى حجرة الخراط حيث لحق به بعد ذلك كل من بولفيرلى ، وجالبياتى ، وجويديو ، وسكورزا . واقترح جالبياتى أن يصدر الدوتشى وأمره بالقاء القبض على « الخونة » ولكن موسولينى

كان في خيالي ذهول لدرجة لم يستطع ان ينبس بآية كلمة . وكان يقاطع حديثهم قائلا : « ان السادة الذين يجلسون هناك للتحدث من السلام لا يعرفون ان تشرشل وروزفلت يرغبان في الاطاحة بايطاليا وتحطيم شوكتها كقوة اكبر في البحر الابيض المتوسط . . . وبدون وجودي لا يكون هناك سلام بل انهزام وخضوع » .

وفي الساعة الخامسة قرر موسوليني ان يذهب الى منزله لانه يشعر بتعب تام وطلب من سكورزا ان يرافقه .

وقد كتب موسوليني فيما بعد يقول : « كانت الشوارع خالية تماما ، وكان ضوء الفجر قد بدأ يتبلج » . وكان يغفم ويقول : « البيني يفعل ذلك معه باستيائيني - وحتى شيانو نفسه احب الاشخاص الى نفسي » . وعندما دخل ووقف امام راشيل كان وجهه يعبر تماما عن المخاوف التي توقعتها ، لذلك ابتدرته قائلة : « لعلك اقيت القهض على الجميع ؟ » ولكنه نفى ذلك ووعد بأنه سوف يفعله وهز رأسه دلالة على أنه لم يعد يتمتع بالقوة واللباس الشديد نفسهما . وخلع ثيابه وذهب للنوم ، ولكن النوم لم يطرق جفونه قط . وفي الساعة الثامنة طلبه طبيبه الدكتور بوزي وسأله هل يستطيع الحضور لاعطائه الحقنة العادية التي يحقن بها كل صباح ؟ ، فرفض موسوليني وقال : لا أريد أى شيء اليوم ، ان دمي يغلي في عروقي .

- ٣ -

وبعد مرور ساعة على هذا الوضع دهش باستيائيني عندما وجده جالسا في مكتبه بقصر بلازو فينيسيا ، كما لو لم يحدث شيء ، ولم يكن يبدو عليه أى تعب او انهاء . وكان يتحدث الى جراندى في التليفون ، ولكنه لم يجده في منزله او في مكان آخر ، وقيل له : انه ذهب الى منزله الريني .

وفي الساعة التاسعة والنصف تقريبا قدم اليه البريد اليومي كالمادة ، واهتم بالتقرير الذي قدم اليه عن الغارة الجوية التي وقعت في الليلة البارحة على بولونا ، وحينما انتهى من قراءة هذا التقرير قدمه الى « البيني » وقال بصوت يمتلئ عتابا ومرارة : « لماذا أبدت مشروع جراندى البارحة ؟ لقد كان زائرا وليس عضوا في المجلس الاعلى » .

فاحمر « البيني » خجلا وغفم بكلمات اعتذار وقال وهو يتعثر في كلماته : « انني آسف ، لقد ارتكبت خطأ كبيرا ، ولكن ليس هناك أى شخص يشك في اخلاصى لك » . وفي الوقت نفسه تحدث سكورزا الى موسوليني بالتليفون قائلا : « لقد جاء الليل بالحكمة ، وبدأ الجميع يشعرون بتأنيب الضمير » . ولكن موسوليني رد عليه بطريقة تمتثل بالتهديد والوعيد الذي أصبح يصدر بطريقة ميكانيكية قائلا : « ان هذا الوقت أصبح متأخرا على الاعتذار واصلاح الاوضاع » . وطلب منه ان يحضر اليه في القصر ، وعندما وصل سكورزا طلب من موسوليني سرعة العجل ضد الاعداء .

ووصل باستيانيني قبل الغداء يرافقه سفير اليابان الجديد فاستقبله موسوليني بروح ود وصداقة ، على حين كان باستيانيني يقوم بشرح الآراء السياسية والاستراتيجية العسكرية باستفاضة كاملة بالنسبة لدول المحور ، ثم تحدث ممتدحا الشعب الياباني ، على حين كان السفير يتسم ويحني رأسه بالشكر والامتنان .

وبعد أن انصرف « هيدাকা » ، السفير الياباني ، بقي باستيانيني مع موسوليني لبحث الأمور الروتينية ، والتنظيمات التي وضعت لزيارة المارشال جورنيج لاطاليا . ولم يجرأ حديث بينهما عما دار في اجتماع المجلس الأعلى وكان يسدو أن موسوليني قد استبعد ما دار في هذا المجلس من ذهنه تماما . وعندما اتصل به دي سيزار وأخبره أنه قد تحدد موعد الساعة الخامسة مساء لمقابلة الملك في قصر سافوي ، بدا موسوليني يشعر بأن سوء الحظ سوف يلزمه وفي هذه الأثناء نصحه جاليباتي بضرورة القيام بالقاء القبض على الأعضاء التسعة عشر المنشقين ، ولكنه رفض القيام بهذا العمل .

وعندما ارتدى موسوليني ثيابه استعدادا لمقابلة الملك ، كانت زوجته راشيل قد ازدادت شكاً وخوفاً ، وقالت له : « لا تذهب يابنيو . فإنه رجل لا يمكن الوثوق به » وكانت كلاريتا قد نصحته في اليوم نفسه بعدم الذهاب الى الملك ، ولكنه لم يستمع الى رأيها ، فلم يكن يشعر بأي شعور بالخطر والخوف : فقد كان يعتقد أن كل ما سيأخذه الملك منه هو القيادة العليا للجيش ، وهو أسوأ أمر يمكن أن يتصوره . وحينما ازفت الساعة على الثالثة بدأ يفكر في الخطر المحدق به فاتصل بالجنرال جاليباتي وأمره بإصدار أوامره الى بضع وحدات من قوات المالبشيا الميكانيكية المرابطة بالقرب من إراتشيانو بالتحرك فورا الى روما ، ولكن الوقت كان متأخرا على مثل هذه الأوامر ، فقد زحفت فرقة كاملة من الجيش من قبل ودخلت روما ، كما استمع الجنرال كاستيلانو الى أوامر الجنرال جاليباتي عن طريق التداخل في الخط التليفوني ، وأخذ استعداداه لجميع الاحتمالات والطوارئ .

وفي الساعة الثالثة والنصف كان موسوليني لا يزال في حال ثقة تامة من أنه لن يحدث شيء ، لذلك ذكر أنه سوف يطلب موافقة الملك على تعيين ثلاثة وزراء جدد في الحكومة . وفي هذا الوقت اتصل سكوزا بموسوليني وأخبره أن المارشال جراتزياني يقف الى جانبه على طول الخط ، وأخبره موسوليني أنه سوف يقابل جراتزياني بعد مقابلته للملك مباشرة ، وعليه أن يخبر المارشال بذلك .

وفي الساعة الخامسة الا ربعا تناول موسوليني قبعته وخرج مع دي سيزار وحمل معه فقط وثيقة خاصة بدستور وسلطات المجلس الأعلى ، ونسخة من قرار جراندي ، وخطاب استقالة اشينيتي من وزارة المؤسسات والهيئات .

وحينما كان موسوليني يستعد لمقابلة الملك في فيلا سالوي كان الملك نفسه يجري استعداداته لمقابلته .

وفي صباح هذا اليوم نفسه كان الكونت جراندي قد قدم تقريرا

عن نتائج اجتماع المجلس الأعلى الى اكوارون ، واقترح تعيين المارشال كافيليا المعادى للفاشية رئيسا للحكومة ، وارسال مندوبين دبلوماسيين الى مدريد للتفاوض مع الحلفاء من أجل عقد اتفاقية صلح . وعندما أعلن اكوارون ان الملك قد قرر تعيين المارشال بادوليو رئيسا للحكومة ، شعر جراندى ان أمانه قد تلاشت وخرج من مكتب اكوارون واختفى بعد ذلك ولم يظهر منذ ذلك الحين في الحياة العامة .

وفي الساعة السادسة اتجه اكوارون الى الملك وسلمه تقرير جراندى الخاص بما دار في اجتماع المجلس الأعلى ، ثم اتجه بعد ساعة واحدة الى الجنرال أمبوسيو ورافقه الى المارشال بادوليو ليخبراه بما قرره الملك بشأنه . وقد اهتز بادوليو بهذا الخبر فأسرع بارتداء بدلة المارشالية الرسمية ، وارسل خادمه الى المخزن لاحتضار زجاجة من الشمبانيا للاحتفال بهذا الخبر .

وفي هذا الوقت قال امبرسيو : انه قد صدرت اليه الاوامر باعتقال موسولينى اذا اعترض بعنف على قرار طرده من الوزارة أما اذا قبل خروجه من الوزارة دون أية مقاومة ، فسوف يترك لشأنه . ولكن كاستيلانو اعترض على ذلك قائلا : ان هذا مستحيل ، ان الملك لا يرغب في ان يحضر أى انسان مقابلته مع موسولينى ، لذلك لن نعرف ما يدور بينهما ، فاذا تركناه يخرج من فيللا سافوى ، فلن نستطيع اللحاق به بعد ذلك .

وفي الساعة الحادية عشرة ترك كاستيلانو المكان متجها الى مكتب قيادة وحدة الجيش الرابطة في روما حيث جمع ما يقرب من خمسين ضابطا وارسلهم الى قصر سافوى قبل وصول موسولينى بنصف ساعة .

الفصل الرابع

الاعتقال في فيللا سافوى

٢٥ من يولية ١٩٤٣

لا يستطيع أى انسان ان يحكم مدة
طويلة ، ويطلب فى الوقت نفسه
تضحيات كبيرة من الشعب دون
أن يخلق نوعا من السخط
والتنمر .

سلكت سيارة موسولينى وهى فى طريقها الى فيللا سافوى طريق
سالاريا المهجور وذلك فى يوم الاحد الذى تخلو الشوارع فيه من المارة
عادة ، ووقفت العربى عند مدخل الفيلا ، وفى هذه اللحظة فوجئ السائق
« اركولى بوراتوا » برؤية الملك ، وهو مرتد ملابس القائد الأعلى للجيش
الإيطالى ، يقف على درجات السلم ومعه ياوره الخاص . ونزل الملك
الدرجات لاستقبال ضيفه والترحيب به وهو يبتسم ويعد يده
لمصافحته . وسار الملك وبجانبه موسولينى الى الداخل وخلفهما ياور
الملك ودى سينزار ، وقام بعد ذلك اركولى بوراتوا بركن سيارته بجوار
درجات السلم ووقف منتظرا . وبعد لحظات ظهر له أحد الضباط وقال
له : انه مطلوب على التليفون ، فذهب معه وقد أدهشته الحركة لانها اول
مرة يطلب على التليفون فى الفيلا سافوى وبدأ يشعر شعورا قامضا
بالخوف والقلق .

وكان موسولينى يبدو غير مهتم بما يدور حوله . وعندما دخل
الاثنان قاعة المجلس أخذ موسولينى يلخص للملك ما دار فى المجلس
الأعلى فى الليلة السابقة ، ثم أكد أن القرار الذى اتخذته المجلس ليس
له أية أهمية لانه لا يقوم على أى أساس قانونى . ولكن الملك اعترض
عليه بحدة قائلا : اننى لا أشارك فى رأيك لان المجلس الاعلى عضو
أمناسى فى تكوين جهاز الدولة ، وأنت نفسك الذى انتقلت هذا المجلس
كما وافق عليه مجلسا البرلمان لذلك فان لجميع قرارات هذا المجلس
أهمية أكبر .

ثم استطرد الملك قائلا : أيها الدوتشى العزيز ان الامر قد انتهى
والأوضاع قد ذهبت الى أخطر مراحلها ، ودخلت إيطاليا مرحلة الحراب
والدمار ، وأنهارت الروح الادبية والمعنوية للجيش ، ولم يفسد الجنود
يرهبون فى الاستمرار فى الحرب . وقد أخذت كتابت الألب تشيد
أنشيد تقول : انها لن تحارب بعد ذلك من أجل موسولينى .

وكان موسوليني يتنصت في صمت وذهول .

واستمر الملك في حديثه يقول : « ان قرار المجلس كان خطوة مبرورة ان هذا الامر يجعلك تعرف الآن مدى الوهم الذي تعيش فيه بالنسبة لشعور ايطاليا لك . فقد أصبحت أكثر الناس كرها في ايطاليا . وما زلت أنا صديقك الوحيد ، فاني اؤكد انه لا خطر عليك ، وسوف احافظ عليك وأحميك . »

ولم يتكلم موسوليني . وحينما أنهى الملك حديثه بقوله : انه قد أمر بأن يتولى بادوليو رئاسة الوزراء مكانه جلس موسوليني فجأة دون أن ينبس بأية كلمة ، وكأنه قد أغشى عليه واختفت جميع الألوان من وجهه . وتظاهر بأنه لا يستمع لما يقوله الملك بعد ذلك .

وبعد ذلك وقف وقال بحدّة : « اذا كنتم جلالتم على حق فيما تقولون فسوف أقدم استقالتي على الفور » . فرد عليه الملك قائلا : نعم وأراني مضطرا الآن لقبول استقالتك على الفور دون قيد أو شرط كرئيس للحكومة . فانبرى موسوليني قائلا : « انكم تتخذون قرارا مليئا بالنتائج ولاشك ان أية أزمة في الوقت الحالي سوف تؤدي الى الاعتقاد بأن البلاد سوف تمقد صلحا في القريب العاجل لان الرجل الذي اعلن الحرب قد ابعد من منصبه ، وسوف تكون الضربة قاضية وخطيرة للوضع الأدبي للجيش ولروحه المعنوية ... وسوف يعتبر كل من شرشل وستالين هذه الأزمة انتصارا لهما وخاصة بالنسبة لستالين الذي ظلت أحاربه طوال العشرين عاما الأخيرة . لقد شعرت الآن . بمدى كراهية الشعب ، بعد ما لسته من شعور داخل المجلس الآن لذلك لن يستطيع أى انسان ان يحكم مدة طويلة ، ويطلب في الوقت نفسه تضحيات كبيرة من الشعب دون أن يخلق نوعا من الغضب والتدمير . واني أضمن حقا سعيدا للشخص الذي سوف يتولى رئاسة الحكومة من بعدى في هذه المرحلة الصعبة » .

وانتهت المقابلة ، وصحبته الملك حتى الباب . وكان وجه الملك في تلك اللحظة يبدو ممتعنا وأصفر من حجبته الطبيعي ، وذلك بعد أن استطاع أن يوجه المناقشة ببراعة ودقة وهدوء . وكان موسوليني بدوره في غاية الهدوء والبرود . فعندما غادر الكفيللا مد يده الى الملك فيكتور عمانويل وهز يد الملك بحرارة وقوة . وتحدثا معا مرة أخرى عن حرارة الجو .

وبالرغم من جميع التحذيرات التي كان موسوليني قد سمعها قبل أن يحضر هذه المقابلة فقد كان قليل الاكتراث بالمخاطر التي تحيط به وقد قال شيانو في هذا المجال « ان تصرفات الدوتشي في ذلك الوقت كانت غامضة وغير مفهومة . فقد كان يعرف أن هناك انقلابا بعد له منذ أكثر من خمسين يوما ، ولكنه كان لا يهتم بمثل هذه الامور لأنه تصور أن مجرد تغيير الوزراء سوف ينهى جميع المحاولات التي تهدف الى التخلص منه . وعندما أخبرته زوجته رانشيل بهذه المؤامرات نهرها وقال : انها سيئة التفكير ، وكذلك تجاهل اقوال خليلته كلاريتا ولم يهتم بتحذيرات سكورزا وجالباتي ، ولم يسألها أية تفصيلات . »

وعندما خرج من الفيلا لم يكن يشعر قط ان هناك خطرا يهدده بانزغ من انه وجد سيارته في غير المكان الذي اعتاد تركها فيه ، وعندما وصل نهاية درجات السلم وجد الكابتن « فينيرى » في انتظاره وحياء التحية العسكرية وقال له « سيدى الدوتشى لقد سمعنا انكم في خطر ، لذلك تلقيت اوامر بمرافقتكم لحمايتكم » .

فرد عليه موسولينى باشارة فيها كثير من الدهشة والغضب وقال : لا داعي لذلك فعندى حرسى الخاص . فرد عليه الكابتن «فينيرى» قائلا : لقد تلقيت اوامر بضرورة حراستكم .. وكان موسولينى قد وصل سيارته فرد عليه باقتضاب قائلا : حسنا ... اذا كانت هذه هى اوامرك ، يستحسن أن تأتى معى فى سيارتى . ولكن فينيرى انبرى قائلا بلهجة فيها نوع من الأمر : كلا ياسيدى الدوتشى اذ يجب ان تأتى انت معى . وأشار الى عربة اسعاف كانت تقف خارج اسوار الفيلا . فقال الدوتشى : ان هذا امر عجيب ! اننى لم أسمع بمثل هذا العمل من قبل فاكد الكابتن قوله : انه امر ياسيدى الدوتشى .

ولم يعترض موسولينى على ذلك بل ذهب مباشرة الى العربة وعندما نظر داخلها وجد حرسا مسلحا يجلس بداخلها فتردد لحظة ثم صعد بعد أن عاونه الكابتن على الصعود بطريقة تدل على انه يأمره بالصعود وصعد خلفه دى سيزلر ، ثم تبعه ثلاثة ضباط صيكريون وضباطان من ضباط البوليس مسلحان بمدافع رشاشة . ثم أغلق الباب بعنف . انه لم يحدث فى حيساته أن قبض عليه بمثل هذه الطريقة !

الفصل الخامس

السجين

٢٥ من يولية ١٩٤٢ - ٢٨ من أغسطس ١٩٤٣

يمجد التاريخ الحياة ، ولكن
الحياة لها تلاميذ شريرون

- ١ -

لم يتحدث أى انسان فى عربة الاسعاف التى أخذت تنطلق بسرعة عنيفة خلال الشوارع لمدة تزيد على نصف ساعة . واستمر موسولينى فى صمته معتقداً أن هذا الكابتن كان صادقا فى كلامه وأنه يعمل على حمايته من العامة وفى الساعة السادسة وقفت السيارة فى ساحة ثكنات بودجوار التى فى شارع كونتيننا سيلا فنزل منها موسولينى كما لو كان فى جولة تفتيش ، وبدأ بتلفت حوله ويضع يديه على جانبيه ردفه ، وهو أمر كان يعرفه منه الجميع معرفتهم لوجهه .

ثم قاده الكابتن بعد ذلك الى غرفة « ميس » الضباط ، ولاحظ عند دخوله أن هناك عدة قوات تحيط بالمكان شاهرة حراها . وتركه الكابتن وحيدا بعد ذلك ، وكان هناك أحد الضباط يراقبه من خلف أحد الأبواب فى حجرة مجاورة . وبعد مرور ثلاثة ارباع ساعة نقل موسولينى مرة أخرى الى سيارة الاسعاف التى اندفعت بأقصى سرعتها لدرجة أن دى سيزار احتج على ذلك خوفا من أن تصاب معدة الدوتشى على حين كان موسولينى نفسه يجلس فى صمت . وعندما وصلت السيارة الى ثكنات الكلية الحربية نزل موسولينى منها بسرعة دون احتجاج . وفى هذه اللحظة همس دى سيزار فى أذن الدوتشى قائلا : أنه يشك فى أن جميع هذه القوات مسلحة من أجل حمايته ولكن موسولينى رفض أن يصدق ، وحتى عندما أدخل فى حجرة مكتب القائد لمعتقدا أن هذه القوات المسلحة بقصد حمايته والمحافظة عليه : ولكنه فوجيء عندما طلب الذهاب الى التواليت أن رافقه أحد الضباط وعدد من الرجال الذين تولوا حراسة الباب ثم عادوا به الى مكتب القائد .

قدمت بعد ذلك الى الدوتشى وجبة غداء ، ولكنه رفض تناولها كما لو كانت أمرا يحط من كرامته وكان الدوتشى يبدو مريضا لدرجة كبيرة غير أنه لم يشك : الأمر الذى جعل القائد يستلهم طبيباً لرعايته . وحضر الدكتور سانتيلو على الفور ، فوجد الدوتشى « مصفر الوجه لدرجة تشبه الموتى ووجد ضغط الدم عنده منخفضا جدا » .

وفى الساعة الحادية عشرة أطفأ الدوتشى النور وحاول أن ينام فى

سرير المعسكر الذى وضع فى الحجرة خصيصا له . ولكنه تضايق بشدة لتسرب الانوار من خلال باب حجرة مجاورة كان مفتوحا لنصفه حيث يجلس أحد الضباط لمراقبته بالتناوب دون الاهتمام بالتليفون الذى ظل ينفق بشدة دقائق متوالية .

- ٢ -

وكانت جموع الشعب قد بدأت تتجمع فى الشوارع فى اليوم التالى لبحث الشائعات الأخيرة . وكانت الشوارع قد امتلأت فى الساعة الخامسة بالجنود المسلحين وبالدفعية الخفيفة بحجة أنها قد وزعت فى الشوارع لمقاومة رجال المظلات للقوات المتحالفة الغربية التى يتوقع نزولها فى أية لحظة فى ضواحي روما . ولم تكن أية معلومات حتى تلك اللحظة عما دار فى المجلس الأعلى قد وصلت الى الشعب أو حتى الصحافة ، وكل ما عرف حتى ذلك الوقت هو أن الاجتماع قد استمر حتى الساعات الأولى من الصباح ، وأن المجلس قد اتخذ قرارات فى غاية الخطورة .

وعندما حل المساء كانت الشائعات قد اتسعت وتركزت حول الدوتشى ، بعضها يقول : انه استقال وذهب الى منزله ، وبعضها يقول : انه قد قتل ، وبعض ثالث يقول : انه هرب الى ألمانيا .

وفى الساعة الحادية عشرة الأربعة اجتمع آلاف من الشعب حول أجهزة الاذاعة لسماع الخبر الهام الذى أعلن أنه سيداع فى تلك اللحظة ولكن الأجهزة عادت الى الصمت . وظل الشعب ينتظر بشغف ، وأخيرا جاءهم صوت المذيع يعلن : -

« قبل جلالة الملك الامبراطور استقالة سعادة الفارس بنيتو موسوليني من رئاسة الحكومة وعين محله الفارس المارشال بيترو بادوليو .. »

وكان هذا الاعلان كافيا لعدد كبير من المستمعين ، فلم يحاولوا سماع أكثر من هذا ، بل أخذوا يجرؤون فى الطرقات والشوارع ويصبحون ويرقصون ويغنون . ويصبحون قائلين : « ان موسوليني قد سقط ، سوف تنتهى الحرب » . وبدعوا بتبادلون القبلات ويصبحون قائلين ان الفاشية قد سقطت وانتهت . وأخذوا يصبون لعناتهم على موسوليني . واخذت جموع الشعب تتدفق على شوارع « كويرينالى » لتحية الملك ، وعلى شارع ٢٠ من سبتمبر لتحية بادوليو . وبدأت الجماهير تلقى بصور الدوتشى الى الأرض وتدوسها بالاقدام وتهجم على منازل الفاشيين المعروفين .

وبالرغم من هذا الاندفاع لم يقتل أى انسان لان الشعور الذى كان سائدا كان شعور الفرح والابتهاج أكثر من كونه شعورا بالانتقام . وكانت هناك غالبية عظيمة من الشعب تجلس فى المنازل فى حزن بعد أن جاء بادوليو وأعلن أن الحرب سوف تستمر وأن إيطاليا سوف تبقى مغلقة لحلفائها . وكان الألمان لا يزالون يقيمون فى روما وسيطرون على غالبية أجزاء إيطاليا وذلك للسيطرة على البلاد فى حال الطوارئ . وأصبح الأمل فى الوصول الى صلح وسلام واهيا وغشيلًا للغاية .

كان الملك يهبط ويصعد في فيلا سسافوى مرات ومرات ، ويعبر طرقات حديقة الفيلا ويتحدث بابتساج عن اجتماع المجلس الاعلى واستقالة موسولينى ، والقبض عليه وأحد أعماله . ولكن الملك لم تكن تشاركه في هذا الشعور بالنبطة . فكانت تقول: كانوا يستطيعون القبض عليه في أى مكان يشاءون الا هنا فى هذه الفيلا ، لانه كان ضيفا ، وقوانين الضيافة توجب احترام الضيف وحايته انها وصمة . وكانت تعتقد فى بداية معرفتها بموسولينى أنه شخص ضخم الجثة وسبى الاخلاق ، ولكنها بدأت تعجب به بمرور الوقت وتحترم شخصيته ، لذلك شعرت بحزن عميق للطريقة العنيفة التى اسقط بها من منصبه

فى الساعة الواحدة من الصباح دخل الكولونيل شيروكو حجرة القيادة التى ينام فيها موسولينى وقال له : ان الجنرال فيرونى قد وصل لتوه حاملا رسالة اليكم من المارشال بادوليو . فوقف موسولينى واتجه الى الحجرة المجاورة حيث وجد الجنرال فيرونى الذى قدم اليه الرسالة . وقبل ان يفض موسولينى الرسالة اتجه بنظر الى فيرونى وقال له : جنرال ، اعتقد أننا تقابلنا من قبل ، اليس كذلك ؟

فرد عليه فيرونى قائلا : « بل تقابلنا فى المانيا » . ثم تحول موسولينى الى الرسالة يقرأها . فكانت كسبا يلى : الى سعادة الفارس نيتو موسولينى : يرغب رئيس الحكومة الموقع ادناه أن يخطر سعادتك بأن ماحدث كان ضروريا فقط من أجل سلامتكم بعد أعلم بأنه كانت هناك محاولات عدة لاغتيالكم وتهديد حياتكم ، لذلك فانه يرغب فى اخطاركم بأنه قد أصدر الأوامر للعناية بكم ورعايتكم ، ووضعكم فى أى مكان ترغبون فيه . توقيع « رئيس الحكومة - المارشال بيترو بادوليو » .

ونظر موسولينى بعد ذلك الى فيرونى الذى سألته عن المكان الذى يرغب الانتقال اليه . فرد عليه قائلا - فى عزة وكبرياء - انه لا يمتلك منزلا خاصا به ، وعلى ذلك فسيكون ضيفا فى أى مكان يذهب اليه . فاقترح عليه فيرونى فيلا « روكا كاميناتي » وسر موسولينى لهذا الاقتراح ، وقال له : أرجو أن تحمل تمنياتى الى المارشال بادوليو . وأملى موسولينى فيرونى خطبا موجها الى المارشال بادوليو يشكره على عنايته به ويخطره باختيار المكان الذى اقترحه عليه فيرونى ، ويذكره بالأيام التى عملا فيها معا متعاونين ، وأعلن عن سروره للقرار الذى اتخذله بضرورة استمرار الحرب .

وبعد أن غادر الجنرال فيرونى المكان عاد موسولينى الى سريره حيث نام عميقا . وعندما نهض من سريره فى الصباح نظر من النافذة لمشاهدة السيارات التى كانت تدخل المعسكر وتخرج منه ، ويراقب الحراسة المشددة الموضوعة عليه ، وأخذ يقرأ الشعارات الأبدية التى وصعها النظام الفاشى التى نقشت على الحوائط : العقيدة والايمان ، والطاعة ، والكفاح . . .

وكان موسولينى مؤدبا مع سجنائه ، راغبا فى اطاعة الطلبات التى تطلب منه . وكان يأكل قليلا ولا يدخن . وقد ذكر فى المرة الثانية التى زاره فيها الدكتور سانتيلو : « ان الدكتاتوريين لا يمكن ان يتخلوا عن سماحتهم وانه يجب ان يسقطوا ولكن سقوطهم لا يسعد أى انسان » .

وفى اليوم الثانى سمح له بزيارة دى سيزار فى حجرته المجاورة ، وظل الاثنان يتحدثان فترة طويلة ويتناولان أقذاح الشاي مرة بعد الأخرى وكانت زوجة القائد تقوم بأعدادها لهما . وفى الساعة السابعة نظرت من النافذة فرأت مجموعتين من الجنود احدهما من الجيش والأخرى من البوليس تصطف فى شبه دائرة فى ميدان التكتات . بجوار سيارات اللورى . وبعد ساعة أخرى تدفق عدد آخر من اللوريات والضباط . وبعد لحظات دخل أحد الضباط الى موسولينى وقال له : ان الأوامر قد صدرت بالانتقال من هذا المكان ، فتبعه موسولينى وتبع موسولينى ضابط آخر قسّم نفسه الى موسولينى على أنه الفريق بوليتسو مدير البوليس الحربى وعندما استقل موسولينى السيارة اندفعت بسرعة خارجة من التكتات وكان يسبقها فريق من رجال الحرس لفتّح الطريق أمام السيارة دون سؤال . وفى أثناء مرور السيارة شاهد موسولينى مستشفى سانتو سبيريتو . فعرف أن السيارة لا تتجه الى روكاديل كاميناتى من طريق شارع فلانسيا ، وإنما تتجه جنوباً عبر شارع آبيا ، وعندما وصلت السيارة البانو تحققت مخاوفه تماماً فسأل الفريق بوليتو : « الى أين نتجه الآن ؟ »

« اننا نتجه الى الجنوب »

« ألسنا ذاهبين الى روكاديل كاميناتى ؟ »

« آسف ، لقد صدرت أوامر أخرى »

« ولكن من أنت ؟ انى اعرف مفتشاً فى البوليس يدعى بوليتو »

« انه أنا شخصياً »

« ولكن كيف وصلت الى هذه الدرجة والرتبة »

« لقد منحت رتبة مساوية فى الجيش »

« وحينما توقفت السيارة سأل بوليتو السائق عن المكان فرّد عليه قائلا : « بالقرب من جيانا » . وفى الحال تحقق موسولينى أن كرامته وكبريامه قد انهارتا وتحطمتا تماماً ، وان نهايته أصبحت أشبه تماماً بنهاية يوليوس قيصر وناپليون حتى المسيح نفسه . وبدأت نفسه تستريح عندما تذكر هؤلاء الابطال ، وعندما تذكر ان البابابايوس التاسع قد التجأ الى هذا الميناء ، وأن مازينى نفسه قد لجأ اليه فى عام 1870

وفى الحال خرج أحد ضباط البحرية وهو يحمل فى يده مشعلا ويصدر أوامره الى السائق بنقل موسولينى الى داخل زنزانته . وكان يلفظ انهم موسولينى يسخرية جعلته يرتعد ويحس بالاشمزاز .

وفى الساعة الخامسة من المساء وصلت الى الادميرال فرانكو موجيرى رئيس مخابرات البحرية أوامر من وزارة البحرية تطلب منه

الامتداد للقيام بواجب حراسة بسيطة ، وعليه أن يتوجه مباشرة الى ميناء جيستاتا حيث تنتظره أوامر هذا الواجب في رصيف كوستانزو شيانو . وبعد ساعتين أصدر اليه الجنرال « مريكة » الأوامر التفصيلية : فأخبره بأن موسولينى قد توجه الى ميناء جياتا وبرفقته الجنرال بوليتو والكولونيل بلافى وقوة حراسة مسلحة . وطلب منه أن ينقل السجين على ظهر الباخرة الحربية « بيرسيغوني » Persephone الى جزيرة فينتوتيني التى تبعد ثلاثين ميلا الى الجنوب على الا يعرف أى انسان شخصية السجين الأبعد ابصار الباخرة .

ووصل موجيرى الى جياتا فى الساعة الحادية عشرة الأربعا وظل منتظرا ثلاث ساعات . وفى الساعة الثانية صباحا شاهد موجيرى أنوار ثلاث سيارات تسير متتابعة ، وتقرب من الميناء . وعندما وصل الركب ونزل موسولينى وتبعه الجنرال بوليتو حياهما موجيرى ، وصحبهما الى الباخرة « بيرسيغوني » التى بدأت تتحرك بعد ذلك مباشرة .

كانت الرؤية غير واضحة تماما نظرا لارتفاع الحرارة والرطوبة وانخفاض السحب . وقبل أن تصل الباخرة الى فينتوتيني قام الكابتن تزارى بتخفيض السرعة وفى الساعة الخامسة الأربعا ألت السفينة مراسعا على بعد عدة مئات من الياردات من الشاطئ . وبدأ الجنرال بوليتو يستعد للذهاب الى الشاطئ لاكتشاف صلاحية الجزيرة للنفى ، على حثى ذهب الاميرال موجيرى الى موسولينى ليسأله هل هو فى حاجة الى قذح من القهوة أو الشاي ؟ ، ولكن موسولينى رفض أى شيء سوى الاستفسار عن فينتوتيني . وبدأ موجيرى يسرد عليه بعض المعلومات من ذاكرته على أنها جزيرة صغيرة مجهولة للعامة . وفى هذه اللحظة طرات على ذهن موسولينى قصص البيا ، وسالت هيلينا .

حينما عاد بوليتو اعلن للاميرال ان هذه الجزيرة لا تصلح أبدا لان تكون مكانا لنفى موسولينى نظرا لوجود عدة قوات المانية مرابطة فيها ، وفى الحال ابتعدت السفينة عن الشاطئ متجهة الى جزيرة بونزا فى الجنوب الغربى التى تبعد عن موقع فينتوتيني بمسافة خمسة وعشرين ميلا حيث وصلت الباخرة فى الظهر تماما وألت مراسيها . وعندما شاهد موسولينى جموعا من الشعب تقرب الباخرة بدهشة اتنابه الخوف والرهبه وطلب من موجيرى ان يؤجل نزوله الى البر حتى المساء ، ولكن موجيرى رفض بأدب بحجة أن الأوامر العليا قد صدرت اليه بأن يصحبه ثم ينزل الساحل على الفور ويعود الى مقره . وعاد بوليتو ليعان انه قد أمر باعداد منزل مناسب فى قرية سالتا ماريا لاستقبال « شخصية كبيرة » . وعندما سمع موسولينى هذا الامر أصيب بلعز وهبوط ، وأخذ يحتج قائلا انه لا يود أن يذهب ولا يود أن يعرف الناس ماحدث له . ولكن غضبه تلاشى بالسرعة التى ظهر بها انفعاله . واضطر أن ينصاع للأمر ، وحيا الاميرال موجيرى بكل هدوء وأدب ، ثم ابتسم بحزن ، وأخذ وضعه فى المركب البخارى الصغير الذى أقله الى الشاطئ .

كانت الساعة قد بلغت العاشرة صباحا عندما وصل موسولينى الى الشاطئ. وأعلن فجأة انه يشعر بتعب شديد مفاجئ . وانه لذلك يود أن يذهب للنوم فوراً وعندما ذهب موسولينى الى الحجرة التي خصصت له وجد بها سريراً حديدياً ومنضدة قديمة ومقعداً من مقاعد الخانات ، فانتابه الغضب وأخذ يشد قبضته بعنف . ثم تحول الى المقعد ووضع في منتصف الحجرة وجلس عليه .

وكان هناك الماجور مارينى حاكم بونزا العسكرى يقف يراقب الدوتشى بالمرصاد ، لذلك دخل الحجرة عندما وجد موسولينى في هذه الحال وحياء التحية الفغاشية الرومانية ، وظل واقفاً في حالة انتباه ، وحاول أن يقول شيئاً ولكن الكلمات كانت تقف في حنجرته . ولأحظ موسولينى هذا الوضع فتبدلت ملامحه من الصرامة وخيبة الأمل ، الى الوداعة والانتعاش الأمل ، ووقف ووضع يده على كتف الماجور وقال له : «تشجع .. اننى أعرف ما تشعر به الآن» . فرد عليه قائلاً : «إننا لم تكن نعرف أن سعادتك سوف تشرفون بونزا الا من نصف ساعة فقط» .

— « لا تهتم »

« اننى كنت أرغب دائماً أن أقابل سعادتك ولو مرة واحدة فى حياتى لآخبركم كل شيء »

— « وما قد قابلتني الآن ، ولكن الأمور لم تعد تعنينى بعد الآن »

وترك الماجور الحجرة لكي يحضر مخدة ، وبعض الأغذية وعندما عاد جاءت وراءه زوجة أحد رجاله تحمل معها صحيفة فيها شربة ساخنة وبعض الحبوب الخضراء ... السلوكة . وكان موسولينى يرقد على جنبه ويضع سترته أسفل رأسه ، وكان يبدو عليه التعب والانهالك . ولكنه حينما تناول غذاءه شعر براحة وتحسن وأصبح قادراً على التحدث الى الصيادين وبعض الرجال الذين حضروا لزيارته وتقديم الهدايا اليه من الاسماك والأصداف .

وفى اليوم التالى - ٢٩ من يوليو - كان عيد ميلاده ، وكان يجلس وهو يرتدى حلة زرقاء ينظر خلال النافذة . وفى هذه اللحظة دخل اليه الماجور مارينى يحمل له بعض حبات الخوخ .. وتقبلها موسولينى شاكراً وقال : انك طيب القلب ايها الماجور وآمل ألا يؤدى ذلك الى قلة الفاكهة فى هذه الجزيرة .

— « لا ، أبدا »

— « حسناً سوف أتناول هذه الحبات بين اليوم وغد »

وفى الصباح حضر اليه جمع من الصيادين ورجال الجيش لتحيته . وتهنئته بعيد ميلاده . وفى المساء حضر اليه أحد الضباط وسلمه بريقة من جورنج تقول : « الدوتشى

اننى وزوجتى نبعث اليكم باحر وأطيب التمنيات لهذا اليوم .. وبالرغم من الظروف التى منعتنى من الحضور الى روما على حسب

الحطة المتفق عليها ، فأننى أقدم لكم كل الشعور بالصدقة والمحبة الأخوية . ولا شك أن عملكم كرجل سياسة سوف يظل في سجل التاريخ وصفحات هاتين الأمتين اللتين تسيران لمصير واحد . وأود أن أخبركم أن أفكارنا تتجه باستمرار اليكم ، كما أود أن أشكركم لكرمكم الذى شملنا من قبل .

صديقكم المخلص جورنج «

وكانت هذه الرسالة هى الوحيدة التى تلقاها من أرض الوطن .

وفى هذا الوقت أخبر ماكنسن السفير الفيرى أن هتلر غاضب أشد الغضب من الملك وبادوليو لعدم ذكرهما اسم المكان الذى نقل إليه موسوليني . وقد أصدر الفوهرر أوامره الى ماكنسن السفير الألماني فى روما بطلب مقابلة الملك لطلب تصريح خاص لزيارة الدوتشى ، ولكن بادوليو اعتذر قائلا : انه لا يستطيع من أجل مصلحة سعادة بنيتو موسوليني ان يوافق على مثل هذه الزيارة المقترحة ، ولكنه يستطيع فى الوقت نفسه أن ينقل أية رسالة خاصة الى موسوليني . وعلى هذا الأساس صمم هتلر على ارسال مجموعة من أعمال فيلسوف ألمانيا العظيم « نيتشه » . ولكن هذه الكتب لم تصل الى موسوليني فى منفاه فى بونزا .

وبعد مرور ستة أيام عليه فى هذا المنفى ، شاهد ضوءا غامضا يومض بين الحين والآخر على سفح هضبة خلف الميناء . فأخذ يراقبه بعض الوقت ، ثم ذهب لينام بعد أن مل النظر . وقبل ان ينبثق الفجر شعر بيد تهزه بعنف وتخبره بأنه قد صدر الأمر بمصادرة الجزيرة على الفور . فقام على الفور وارتدى ملابسه وجمع حاجاته . وسار بصحبة حرسه الخاص الى الساحل حيث وجد قاربا فى انتظاره وشاهد على مسافة غير بعيدة سفينة حربية فى مدخل الطريق ، ونقل اليها على الفور فوجد عليها الإدميرال موجيرى . وسأله موسوليني : « الى اين هذه المرة يا موجيرى ؟ » فأجابته : « الى جزيرة مادالينا » . وظهر الامتعاض على وجه موسوليني ، فقد شعر بأنه أصبح شخصية ضئيلة فى مصير أمته ، إذ لم يعد له كيان وشخصية يستطيع بهما أن يوجه مصير أمته .

وقد أخبره أحد الضباط وهو على ظهر السفينة أن المارشال بادوليو قد حل الحزب الفاشى . وعرف موسوليني أن فاريناشى قد ذهب الى ألمانيا وتحدث من راديو ميونخ ، وأن شيانو قد طرد من منصبه كسفير . وعندما أخبره موجيرى أن الحكومة كانت تخشى قيام الفدائيين الألمان بمحاولة اختطافه وانتاذه من منفاه فى جزيرة بونزا ، أبدى موسوليني اهتماما شديدا وحقيقيا ، لأن هذه العملية سوف تحط من قدره ومن شعبيته ، لأنه لا يتصور أبدا أن يعود الى الحكم فى إيطاليا بمساعدة الألمان . ولم يكن موسوليني قد فكر من قبل فى إمكانية قيام الألمان بانتقاذه بالرغم من انه كان قد بحث مع مارينى عن إمكانية قيام هجوم بريطانى .

وفي الساعة الثانية بعد الظهر وصلت السفينة الحربية الى مادالينا حيث شعر موسوليني بضيق شديد عندما ذكره الاميرال برونو بريفونيسي بالانجليز ونقل موسوليني الى منزل له حديقة كبيرة واسعة تطل على البحر وتحيط بها اشجار الخشب الموسكى . وكان هذا المنزل مؤثثا تأثيثا جيدا نظرا لانه كان يستخدم « ميسا » للضياف وكان ملكا لرجل انجليزى يدعى « وير » . ولكنه تساءل : كيف يمتلك رجل انجليزى منزلا فى شمالى سردينيا وفى هذه المنطقة النائية ما لم يكن من اجل اعمال سرية ؟

وكانت مادالينا قد اصبحت مهجورة تقريبا من السكان بعد حدوث عدة غارات جوية عليها ، وهو امر وجده موسوليني فى غاية الغرابة لانه يعرف ان الانجليز يعرفون اهدافهم تماما . ولم يبق من الناس سوى بعض البحارة ، والصيادين ورجال الحرس الذين يزيد عددهم على المائتين .

وبقى موسوليني فى هذه الجزيرة المعزولة ثلاثة اسابيع متتالية كانت اباس ايام مرت على موسوليني فى حياته كلها . وكان قد انقطع الاتصال نهائيا بينه وبين العالم ولم يكن يرسل اليه سوى الكتب التى يرسلها اليه القوهرر الالماني .

وفى احد الايام وصل الجنرال بوليتو الى الجزيرة فساله موسوليني عن وعد المارشال بادوليو بارساله الى روكاديل كاميناتي ، فاكد له الجنرال ان ذلك مستحيل فى الوقت الحالى نظرا للخطورة الشديدة التى تحيط به فى الوقت الحالى ، واخبره ان التنظيمات الفاشية قد اختفت فى كل مكان ، وان مبنى صحيفة « شعب ايطاليا » قد تحطم تماما فى ميلانو . ثم ساله موسوليني عن مصير الحرب ، فاخبره ان الاستعدادات تتخذ الآن لانهايتها لانها اصبحت عبئا كبيرا على الشعب وعلى الذين يحاربون ايضا . واخبره ايضا ان بادوليو يتجه الى توقيع معاهدة هدنة بكل حذر لانه يرغب فى الوقت نفسه فى الاحتفاظ بصداقة حلفاء ايطاليا . وذكر له ان امبروسيو ورفائيل جواريليا وزير الخارجية الجديد قد اجتمعا فى ٦ من اغسطس فى تارفيشسيو فى اقصى الشمال مع ريبنتروب وزير الخارجية الالمانية والمارشال كيتل لبحث عملية سحب القوات الالمانية من الاراضى الايطالية . وفى هذه المقابلة سأل ريبنتروب رفائيل جواريليا عن مدى تقدم مباحثات ايطاليا مع الحلفاء من اجل اتفاقية صلح ، فانكر وزير الخارجية الايطالى هذه المحاولة بكل ذكاء وبراعة ، واكد له ان الايطاليين سوف يظلون المخلصين للامان .

ولكن لم يعض اسبوع على هذا الحديث حتى كان الجنرال كاستيلانو متجها الى مدريد لمقابلة السفير البريطانى هناك ، واخطاره باستعداد ايطاليا للتسليم . وبعد مرور ثلاثة اسابيع من المباحثات المضنية تم توقيع اتفاقية التسليم فى ٣ من سبتمبر فى كاسيبيلى بالقرب من سراقوس فى سيشيل . وفى هذا اليوم نفسه كان بادوليو رئيس الوزراء يؤكد للسفير الالماني فى روما ان ايطاليا سوف تسير الى جانب حليفها المانيا حتى النهاية . ولكن فى الساعة الثامنة من مساء يوم

٨ من سبتمبر قامت قوات الحلفاء بناء على هذا الاتفاق بانزال قواتها في « ساليرنو » داخل الاراضي الإيطالية وبذلك عرف العالم أجمع أن إيطاليا قد سلمت للحلفاء .

ولم يعرف موسوليني ما حدث بعد ذلك فكان يجلس في فيللا ويبر وهو ينظر الى البحر . وفي يوم ٢٦ من أغسطس ظهرت طائرة ألمانية فوق الفيلا على ارتفاع منخفض جدا لدرجة ان الدوتشي شاهد بنفسه الطيار ، ثم حامت بعد ذلك غواصة ألمانية حول الجزيرة ، وأصبح الاعتقاد السائد أن هناك محاولة لانقاذ موسوليني .

وفي ٢٨ من أغسطس تم نقل موسوليني في السماعات المبكرة من فيللا ويبر الى الميناء حيث كانت تغف طائرة مائية تابعة للصليب الاحمر، قامت بنقله بعد ذلك الى بحيرة براشيانو . وفي « فينادي فالي » قابله مفتش بوليس يدعى « جويلى » قام بأعمال الحراسة مكان بوليتو . ثم نقل موسوليني بعد ذلك الى عربة أسعاف شقت طريقها بعد ذلك بسرعة مذهلة في طريقها الى روما .

الفصل السادس

في جران ساسو

٢٨ من أغسطس ١٩٤٣ - ١٢ من سبتمبر ١٩٤٣

آه .. انه اعلى سجن في العالم .

- ١ -

عندما وصلت قرية الاسعاف مدخل روما اتجهت الى شارع فلامينا ثم عبرت الجسر الحديدي فوق نهر التيبر متجهة الى طريق ساين عبر الوادي الذي يفصل جبال ساين عن الابروزي . وفي هذه اللحظة تحقق موسوليني ان السيارة تتجه الآن الى جران ساسو دي ايطاليا التي تنحرف من طريق اكويلا . وكانت منطقة جران ساسو التي ترتفع ما يقرب من ثلاثة آلاف قدم فوق مستوى البحر على بعد خمسة عشر ميلا من طريق اكويلا ، وفوقها معسكر « امبراطور » . وفي هذا المكان وضع موسوليني ، واحتل فيلا صغيرة على هذه الربوة .

وكان موسوليني يقبع في الطبقة الثانية من هذه الفيلا الصغيرة ويحلق في الهضبة التي تقبع امام ناظره . وقد سمح له لأول مرة منذ اعتقاله بالاستماع الى جهاز الراديو . وكان يتعجب ويقول : مامدى ارتفاع هذا الفندق ؟ .. انه يبلغ ٢١١٢ مترا فوق سطح البحر . فصاح بتعجب وبساطة قائلا : « آه .. انه اعلى سجن في العالم » .

- ٢ -

كان مبنى « البرجور فوجيو » يبدو من بعيد كأنه سجن رهيب معزول عن بقية انحاء العالم . ولكن موسوليني استراح اليه وهو ينظر اليه ، وعندما دخله قام باعطائه امره الى خادمه الخاص يرفع جميع السجاد والابسطة قائلا : اذا كنت حقيقة اعامل كسجين فيجب ان اشعر بانى سجين حقا ، اما اذا لم اكن سجيئا فانتى اود ان انتقل الى « روكاديل كاميناتي » ..

ولكنه كان يعامل في الواقع معاملة الضيوف لا معاملة المسجون ، وكانت مديرية الفندق تشاهده وهو يجلس صامتا ، ويطلب نقل غذائه الى حجراته الخاصة . وكان موسوليني يتبسم رجيما خاصا في غذائه الذي كان يتكون في الغالب من الارز والبيض والبصل المسلوق ، وشريحة صغيرة جدا من اللحم ، وبعض اللبن والفواكه .

وكان يذهب بعد الظهر في جولة بسيطة مع الماحور انتيكي ، ثم يتناول عشاءه في الساعة السابعة ثم يتوجه بعد ذلك الى غرفة الجلوس

للعب الورق مع انتيكي وحارسيه الخاصين جوبلى وفايولا .
وقبل أن يتوجه الى النوم كان يستمع الى الاذاعة ، ولم يكن يستمع
فقط الى الاخبار الإيطالية وإنما كان يستمع ايضا الى الاذاعة الألمانية
والانجليزية وغيرها . وكان يستمع دون أن تبدو على سيماء أى آثار
للانفعال ، وكان يمتع سير الحرب بقوله : « انها حرب الخذلان
والعار » التى بدأت انجاءها تراجيديا .

وقد استمع موسوليني الى اخبار الغارات الجوية العنيفة على
المدن الإيطالية ، وارتفاع نسبة الضحايا الإيطاليين ، وانهيار القوات،
وغزو صقلية السريع ، وانتشار المجاعات والخراب، وتدهور الحاصلات
وامتناع ألمانيا عن إرسال الفحم ، وقيام القوات الإيطالية بتسليم
أسلحتها ومراكزها الى الألمان في كرواتيا واليونان وفرنسا دون
احتجاج .

واستمع موسوليني أيضا الى سفر الملك والمارشال بادوليو
رئيس الحكومة من روما الى بسكارا ثم برنديس . وكان يستمع الى
كل هذه الاخبار ويشعر في قلبه بالأسى والحزن وعدم القدرة .

سأل موسوليني جوبلى في أحد الأيام : « اننى أعجب كيف
سيكون حكم التاريخ على ؟ » وكان هذا السؤال هو الذى يحير
موسوليني ويشير اهتمامه في حياته السابقة وفي تطلعه الى الحياة
في المستقبل . ولم يهتم موسوليني كثيرا بأجراءات الامن التى وضعت
على معسكر « امبراطور » ومقدار القوات الميكانيكية التى تقف على بابه
بكامل أسلحتها . ولم يكن يظهر أسفه ، وإنما كان يبدو عليه التفكير
العميق ، وكان ينظر من نافذته وهو يتأمل ، ويحملك في الأفق البعيد
مثلا كان يفعل نابليون في سانتا هيلينا .

وفي أحد الأيام جلس موسوليني امام جهاز الاذاعة واستمع الى
الشروط الكاملة للهسدة التى وقعها بادوليو مع الحلفاء . وكان
راديو ألمانيا هو الذى يذيع هذه البيانات الكاملة ، وكان من بين هذه
النصوص تسليم موسوليني الى الحلفاء . وفي الساعة الثالثة من صباح
اليوم التالى سلم الحارس الخاص كريفيتو خطابا الى الملازم فايولا من
موسوليني تضمن الكلمات التالية :

« تحققت في الأيام القليلة التى لازمتنى فيها أنك صديق مخلص
يمكن الاعتماد عليه . وانت جندي ، وتعرف أكثر منى معنى السقوط
في أيدي الأعداء وقد علمت مساء أمس من اذاعة برلين بأن أحد نصوص
اتفاقية الهدنة تنص على تسليمى الى الانجليز حيا ، ولكنى صممت
على عدم الخضوع لهذا التحقير ، لذلك فأننى أطلب منك أن تسلمنى
مسدسك » .

فقفز فايولا من مكانه وهرب الى حجرة موسوليني ، فوجده
جالسا فوق سريره ومعسكا في بده شجرة حلاقة جيليت ، ويبلهو وكأنيما
يحاول قطع شربانه . وقام فايولا بجمع جميع الآلات الحادة ، ثم جلس
وأخذ يبكي قائلا : انه قد أسر من قبل في طريق بعد جرحه ، وأنه
قاسى الكثير من قسوة وعنف الانجليز ، لذلك لن يسلم أبدا الى ايطالى
الى هؤلاء الانجليز حتى لو ضحي بحياته .

الفصل السابع

الانقاذ من جران ساسو

١٢ من سبتمبر ١٩٤٣

كنت أعرف أن صديقي هتلر لن يتخطى عنى .

- ١ -

في مساء يوم ٢٦ من يولية كان الكاتبن اوتو سكورزينى ، وهو شاب في الحرس الحديدى الالماني ، يجلس في فندق عدن في برلين يتناول قدحا من القهوة مع صديق قديم له جاء من فيينا . وكان يشعر في تلك اللحظة بشعور غامض غريب لا يعرف كنهه ، ولا يدري مصدره . وصمم بناء على هذا الشعور على الاتصال بمكتبه ، وعندما تم الاتصال شعر براحة كبيرة لان سكرتيره الخاص كان يبحث عنه منذ ساعتين بعد أن طلبته قيادة الفوهرر . وأخبره سكرتيره رادل بان هناك طائرة تنتظره في مطار تيميلوف في الساعة الخامسة .

وفي الميعاد المحدد توجه سكورزينى الى المطار حيث وجد مساعده كارل رادل في انتظاره ولما سأله عن الموضوع اجابه بأنه لا يعلم شيئا وبعد عدة دقائق كان سكورزينى يطير فوق برلين وفي يده زجاجة براندى . وبعد ثلاث ساعات وصلت الطائرة الى مطار بالقرب من بحيرة قرب لوتزن في بروسيا الشرقية . وكانت هناك عربة مرسيدس في انتظاره أقلته من المطار عبر الغابات الى مقر الفوهرر لمقابلته ، ومرت العربة بثلاث نقاط مراقبة وحراسة قوية حيث فتشت أمتعته وأوراقه . ثم اقتيد سكورزينى بعد ذلك الى مبنى خشبي حيث جلس في حجرة مؤتة تائيشا جميلا أنيقا . وكان يجلس في هذه الغرفة خمسة ضباط . وكاتبن من الحرس الحديدى قام بتقديمه الى الجالسين . وبعد لحظات عاد الكاتبن الى الحجرة بعد أن خرج منها وأعلن أنه سوف يصحب الجالسين الى الفوهرر ويقدمهم له ليقسموا بشرح أعمالهم ونشاطهم للفوهرر . وكان سكورزينى يدخل سيجارة في تلك اللحظة ، فنزع السيجارة وأطفاها ، وأخذ يرتعد وهو في طريقه الى غرفة الفوهرر وبعد أن استقروا في الحجرة ، دخل عليهم الفوهرر . فوقف الضباط بوقتئهم العسكرية ، وحياهم الفوهرر التحية النازية . وقام الكاتبن بتقديم الحاضرين اليه على حين كان يوجه الى كل منهم سؤالا ثم يتجه الى الآخر .

وبعد ذلك تحدث الفوهرر الى سكورزينى . ثم خطا هتلر الى الخلف خطوتين وقال : « من منكم يعرف ايطاليا ؟ » وكان سكورزينى

هو الوحيد الذى اجاب بالإيجاب فقد سبق أن ذهب الى نابولي مرتين .
وسأل هتلر عن مدى علمه ومعرفته بإيطاليا ، فرد عليه سكورزى
ببعض البيانات عن المحور والفاشية بكلمات حادة ونبرات قوية قاطعة .
ثم قال بطريقة دراماتيكية : اننى نمساوى ياسيدى « الفوهرر » .
وأخيرا قال هتلر : « يستطيع السادة الانصراف . ابق أنت يا كابتن
سكورزى » .

وحينما انصرف الجميع وبقي سكورزى ، بدأ هتلر يتحدث
فى حماس فقال : « لدى عمل فى غاية الأهمية والخطورة بالنسبة لك ،
لقد خان ملك إيطاليا صديقى وزميلي المخلص فى الكفاح والحرب وقبض
عليه ، ولن أسكت على هذا العمل وأجعل إيطاليا تفقد أحسن أبناءها
فى هذا الوقت وهذه الظروف الحالية . ان الموتشى يمثل بالنسبة
لى عظمة روما القديمة . وإيطاليا فى نظامها الجديد تهجرنا الآن
وتخوننا ، لذلك فانى سوف أبقى مخلصا لحليفى وصديقى العزيز . .
يجب انقاذ بسرعة » .

وكان حدث هتلر يمتلئ بالحرارة والاخلاص والعطف حتى ان
سكورزى قد تأثر لدرجة كبيرة من هذا الاخلاص والحماس . وعندما
بدأ الفوهرر يلقى بتعليماته ، كان يشعر بأن سكورزى سوف يقوم
بكل أعماله بنجاح تام . وفى هذه الأثناء قال سكورزى : « اننى أفهم
كل شيء يا سيدى الفوهرر ، لذلك سوف أبذل كل ما فى وسعى لانجاح
هذه المهمة » ، وكان هتلر طوال وجوده فى الحجرة لا يحول نظره أبدا عن
سكورزى حتى حياه وخرج . وقد جعلت هذه النظرة سكورزى
يشعر بدوار وتشتت فى الأفكار وبعد أن خرج سكورزى من الحجرة
وحيا الفوهرر توجه الى حجرة مجاورة حيث أجتمع بالجنرال ستودنت
وبهملر لبحث تفاصيل العملية . وكان هملر فى حال عصبية شديدة
القلق ، وكان يعرف أن سقوط حكومة بادوليو مرهون بالوقت . فقد
ذهب ممثلو الحكومة الإيطالية من قبل الى البرتغال للتفاوض من أجل
اتفاقية صلح منفصلة . وعندما سحب سكورزى قلمه لشدوين
الملاحظات والبيانات والاسماء التى لم يكن قد سمع عنها من قبل ،
تحول اليه هملر صائحا وهو يقول : « هل أنت مجنون حتى تدون
هذه البيانات فى أوراقك ؟ .. أن هذه المعلومات سرية للغاية ، لذلك
يجب أن تذكر فقط الاسماء وتفهم الخطة لأن المارشال كيسلرنيج
القائد الألماني فى إيطاليا نفسه والسفير الألماني فى إيطاليا لا يعرفان شيئا
عن هذا الموضوع » .

ثم لار هملر مرة اخرى عندما شاهد سكورزى يدخل وينفت
دخانه فى وجهه وصاح فيه : « الا تستطيع أن تفعل أى شيء دون ان
تكون السيجارة فى فمك ؟ .. انك لا تصلح لهذا العمل أبدا » . وكان
الجنرال ستودنت أكثرودا وصدافة ، فعندما ترك هملر الحجرة بدأ
يتحدث بروح طيبة مع سكورزى ويشرح له الخطط . وكان على
سكورزى أن يطير الى روما فى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى
ويرفقه حاجب الجنرال ستودنت . وفى الوقت نفسه صدرت الأوامر
الى خمسين رجلا من رجال المظلات بالطيران الى جنوبى فرنسا ومنها

الى روما للانضمام الى فرقة المظلات ، الاولى التى سوف ترسل الى
إيطاليا .

وكانت الساعة قد دقت معلنة منتصف الليل ، لذلك لم يستطع
سكوزينى أن ينام بقية الليل ، بل ظل يعمل من أجل تجهيز جميع
قوائم المعدات والمواد الناسفة والأسلحة وجهاز اللاسلكى ، والأدوات
الطبية ، وصبغات وملابس التخفى ، واختيار الضباط الذين سيرافقونه
فى رحلته ، واعداد البرقيات اللازمة ثم حاول أن ينام بعد ذلك . ولكنه
لم يستطع ، بل ظل مستلقيا على ظهره فى تراخ حتى أعلنت الساعة
السادسة فنهض وأعد وصيته .

وفى هذا المساء نفسه كان سكوزينى يتناول عشاءه بملابس
جندى المظلات مع الفيلد مارشال كيسلرنج فى فيلته فى فراسكاتى .
وكان الحديث الذى دار بينهم يتعلق بعملية اعتقال الدوتشى واختفائه
فى يوم وليلة . وقد ذكر كيسلرنج أنه التقى بولى العهد وسأله عن مكان
موسولينى فأجابه بأنه ليس لديه أى معلومات عن المكان الذى نقل
إليه . ولكن سرعان ما اكتشف سكوزينى بعض الشائعات التى تؤكد
وجود موسولينى فى مكان ما فى الشمال . . واستطاع سكوزينى أن
يتوصل الى أول مفتاح حقيقى لهذه المشكلة فقد استمع الى حديث
بين ضابط اتصال المانى وأحد القادة الألمان فى إيطاليا يخبره فيه بأن
موسولينى فى جزيرة ماديلينا وبنساء على ذلك صمم سكوزينى على
الذهاب فوراً الى هذه الجزيرة برفقة أحد الضباط الألمان المرافقين
له فى هذه المهمة . فاختار الضابط فالجر الذى يجيد التحدث باللغة
الإيطالية .

ولكن قبل أن يتخذ سكوزينى طريقه الى ماديلينا اتجه بطائرته
الى ألمانيا لمقابلة هتلر . وقابله بالفعل وشرح له الموقف ثم تقدم إليه
بخطه الجديدة للقيام بعملية الخطف ، فوافق عليها هتلر على الفور .
وفى أقل من أسبوع كانت الحطة الكاملة قد وضعت بكل دقة وأعدت لها
القوارب الحربية المختلفة وعدد من متطوعي رجال الحرس الحديدى
والجستابو فى كورسيكا . وأصبح من المفروض أن يتم الهجوم فى نهاية
يوم ٢٧ من أغسطس ، ولكن فى هذا اليوم المحدد تم نقل موسولينى
الى داخل إيطاليا ، وبذلك فشلت الخطة الاولى وأصبح من الضرورى
القيام ببحث جديد لمعرفة المكان الذى نقل إليه موسولينى .
استطاع سكوزينى بعد جهد كبير أن يعرف المقر الجديد الذى
نقل إليه موسولينى فى جران ساسو ، لذلك اتصل سكوزينى بأحد
الجراحين الألمان وطلب منه اعداد مستشفى أسفل « البرجوريفوجيو »
فى جران ساسو لاستقبال مرضى الملايا للعلاج . ولم يكن الجراح
يعرف أى شئ عن المهمة ولكنه فوجئ بوجود حامية من الجنود
الإيطاليين ، وعندما استفسر عن سبب وجودها قيل له : أن هذه
المنطقة أصبحت منطقة تدريبات عسكرية وأن جميع الزوار ممنوعون
من دخولها .

وأصبح أمام سكوزينى أحد ثلاث طرق لاتمام العملية :

- ١ - القيام بهجوم من الأرض .
- ٢ - الهبوط بالمظلات .
- ٣ - الهبوط بالطائرة .

ولكنه استبعد الهجوم الأرضي نظرا لحاجته الى قوات كبيرة في عمليات الهجوم ، كما اهتم ايضا عملية الهجوم بالمظلات بسبب ارتفاع هذه المنطقة وعدم استواء سطحها . لذلك أصبحت الطريقة المحتملة الوحيدة هي الهبوط بالطائرة وذلك بالرغم من وجود خطورة كبيرة في عملية الهبوط لان منطقة الهبوط في الجانب الخلفى مباشرة من الفندق وتحتل مساحة ضيقة .

وقد بحث الجنرال ستودنت جميع الاحتمالات فوجد أن الخطة الوحيدة التي يمكن ان تنجح هي خطة هبوط الطائرة بالرغم من الصعوبات التي تواجهها . لذلك اصدر امره بنقل اثني عشر طيارا من جنوبي فرنسا الى روما للاشتراك في عملية الخطف وذلك في الوقت الذي تقوم فيه مجموعة من ضباط المظلات باحتلال هذا الموقع . وقد تقرر اتمام هذه العملية في فجر يوم ٦ من سبتمبر .

وفي اثناء بحث عملية التنفيذ تقدم كارل رادل باقتراح لضم ضابط ايطالى الى فرقة العمليات لتضليل قوات الحرس الايطالية ولمنع اغتيال موسوليني وقد تم اختيار الجنرال سسوليتي ، وقام الجنرال ستودنت بالاتصال به ليخبره ان الفوهرر نفسه قد اختاره شخصا منعا لاراقه الدماء ووافق الجنرال سسوليتي على ذلك فورا .

ولكن نظرا لعدم وصول الطيارين في الميعاد المحدد فقد تقرر تأجيل تنفيذ العملية حتى الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الاحد ١٢ من سبتمبر وفي الساعة الواحدة من هذا اليوم قام الطيارون بالطيران فوق مطار براتيكي دى مارى على ارتفاعات مختلفة لدراسة المكان بدقة . وفي الساعة الثانية الا عشر دقائق حلق سكورزيني فوق الفندق الذي ينزل به موسوليني وشاهد سطحه واصدر امره بانزال جبال . ولكن الطيارين الآخرين الذين اندفعوا في الهبوط في صمت فوجئوا بمشاهدة المطار منحدرًا انحدارًا قويا لدرجة يستحيل معها الهبوط بسلام .

- ٢ -

كان موسوليني يجلس أمام نافذة حجرة الجلوس وهو يستمع الى ازيز الطائرات ولا يعرف ماذا يدور حوله ولكنه استطاع ان يرى عددا من الرجال يلقون بأنفسهم من طائراتهم التي اخذت تندفع ببطء ولم يستطع ان يتعرف عليهم ولكن عندما دقق النظر ورأى أن واحدا منهم ضابط ايطالى أخذ يصيح قائلا : لا تطلقوا النار .. لا تطلقوا النار ، انه جنرال ايطالى . فاندفع الملازم فيولا الى حجرة موسوليني وهو يلهث ويصيح : المان .. المان ..

وفي هذه اللحظة كان سكورزيني يندفع بطائرته الى اسفل والى اعلى فشاهد جهاز استقبال وارسل لاسلكيا لحطه واخذ يبحث عن مكان يستطيع منه الهبوط بعد ان استطاعت قوة المظلات التي اسقطت ان تسيطر تقريبا على الوضع ، وكان في هذه الاثناء قد منح في موسوليني وهو يقف في النافذة ان يعتمد عن النافذة ويدخل داخل الحجرة . فسمعه الحرس وسادت الفوضى المنطقة واندفعوا داخل القصر تاركين وراءهم مدافعهم خوفا من قتال الفدائيين الالمان ومدافعهم . ووصل رجال سكورزيني داخل القصر ، على حين كان الحرس يقف في حال ذهول وارباك تامين ، مندفعين الى حجرة موسوليني ، وفي هذه الاثناء كان سكورزيني قد هبسط من طائرته بمظلة ونزل سائلا الى الارض وتوجه مباشرة الى الفندق وطلب من قائد الحرس التسليم على الفور ، فطلب قائد الحرس امهاله دقيقة واحدة للتشاور خرج بعدها وهو يحمل في يده قتيعة خمر وهو يصيح : في نخب الانتصار . وتقدم سكورزيني من الدوتشي وقال له :

« لقد ارسلنى الفوهرر لانتاذاكم وقد اصبحتم سعادتم حرا » ثم سكت سكورزيني وتقدم منه الدوتشي وعانقه ثم ضمه الى صدره وقال له : « لقد كنت اعرف ان صديقى ادولف هتلر لن يتخلى عنى ابدا » وكان يتحدث بصوت واضح مسموع ولكن سكورزيني صدم عندما شاهد مظهره والالام التي كانت تنعكس على وجهه والملابس التي كانت لا تليق بمقامه .

واصبحت مشكلة سكورزيني هي كيفية الخروج من هذا المبنى وكان المفروض على حسب الخطة الموضوعة ان تقوم طائرة من مطار اكويلا بحمل السجن الى المانيا ولكن عدم امكانية الاتصال بالمطار نتيجة تحطيم أجهزة الارسل جعلت سكورزيني يشك في امكانية نجاح هذه العملية بعد نجاح الخطوة الهامة فيها وخرج موسوليني الى العراء وهو ينتعل حذاء سميكا من النوع الذى يستخدم في الترحلق على الجليد .

وكان موسوليني قد بدأ يشعر بعودة سطوته وسلطانه ويدات نظره تتخذ الشكل الدكتاتورى المعروف على حين اصطفت له القوات التي كانت تحرسه لتحيته التحية الفاشية ، ثم صافحهم واستندار الى حيث كانت تقف طائرة بمحرك واحد استقلها هو وسكورزيني وبعض ضباط المظلات واتجهوا بها الى الجنوب الغربى تجاه وادى افيرو على ارتفاع لا يزيد على مائة قدم ، وكان موسوليني يبدو أقل خوفا واضطرابا في الوقت الذي بدأ فيه يشرح للجالسين معه معالم الطريق والقرى التي يعرون بها .

واستمرت الطائرة في طريقها حتى وصلت فيينا عاصمة النمسا ، وحينما هبطت الطائرة في المطار توجه موسوليني الى فندق كونتينتال حيث كانت قد اعدت له ملابس جديدة . ثم اتصل به هتلر تليفونيا لتهنئته على الهروب ولكنه كان في حال لا تسمح له بتبادل الحديث ، لذلك شكر الفوهرر على اهتمامه وقال له باختصار :

« اننى تعب جدا وأحتاج الى راحة » . وفى الصباح كان موسوليني قد شعر بانتعاش وشعر بتبدل فى حياته وخاصة بعد أن حلق ذقنه واغسل وارتنى ملابس نظيفة وأخذ يلقى مكالمات عدة تستفسر عنه ، وكان يتحدث مع المستفسرين والمهنيين عن مستقبل الفاشية فى إيطاليا وعن اتجاهه الى تغييرها الى حزب جمهورى .

وكان يقول دائما : « لقد ارتكبت خطأ جسيما لذلك يجب أن أدفع ثمنه وهو اننى لم أكن أعرف أن القصر الملكى الايطالى أكبر عدو لى وسيظل كذلك ، وكان يجب على أن أعلن أن إيطاليا جمهورية بعد حملة الحبشة » .

وفى منتصف يوم ١٣ من سبتمبر ترك فيينا الى ميونخ حيث كانت زوجته راشيل وأطفاله ينتظرونه فى مطار ريم ، وفى صباح اليوم التالي وصلت ابنته ايدا ، وكان اللقاء صعبا نظرا لما لاقته من صعوبات بعد رفض التصريح لها بالخروج من إيطاليا وقياس الألمان فى روما بتسهيل عملية هروبها الى ميونخ ، ولكن زوجها شيانو لم يلاق صعوبات عند خروجه الى ألمانيا لرغبة الحكومة الإيطالية فى التخلص منه ، ولكنه واجه صعوبات لمراقبة الجستابو له . وبعد ذلك مباشرة طار موسوليني من ميونخ الى مقر قيادة الفوهرر فى روسيا الشرقية لدراسة الأوضاع النهائية .

الفصل الثامن

الاجتماع فى مقر قيادة الفوهرر

١٥ من سبتمبر ١٩٤٣

« لقد جئت للاستماع الى تعليمات جديدة »

وصلت الطائرة « جو - ٥٢ » التى كانت تقل موسولينى الى مطار مركز القيادة فى الوقت الذى بدأت فيه الشمس تغيب فى الافق ، وبعد ان استقرت الطائرة فى المطار خرج منها موسولينى فوجد هتلر يسير نحوها والدموع تطفرف من عينيه ، فالتقيا وتصافحا وعانق كل منهما الآخر فى صمت وظلا واقفين وأيديهما متشابكة . وكان واضحا تماما ان هذا المشهد قد اثر فى هتلر تأثرا عميقا .

وبعد ذلك مباشرة اجتمع الاثنان وحدهما فى جو مختلف تماما عن الذى كان يتوقعه موسولينى ، فقد ماتت آمال موسولينى بعد ان كانت قد انتعشت بسبب التهاني والمدح الذى لاقاه فى فيينا وميونخ ، وكان موسولينى يبدو فى هذا الاجتماع فى غاية الانهيار والقلق وخاصة عندما نبهه هتلر فى بداية الاجتماع الى الحقائق تماما كما فعل الملك فى يولييه الماضى ولما سألته هتلر : ماذا ينتوى عمله ؟

اجاب الدوتشى انه يفضل ان يمتزل الحياة العامة حتى يجنب ايطاليا حربا اهلية ، ولكن هتلر ثار على ذلك وقال : ان هذا كلام لا معنى له فانه يسعين للعالم ان الدوتشى يؤمن بأن المانيا على أبواب الانهيار ، لذلك يجب على الدوتشى أن يعيد بحث الموضوع من جديد لان عدم عودة الحكومة الفاشية الى الحكم فى ايطاليا سوف يؤدى الى انهيار الشعب الايطالى ، كما أن الجيوش الالمانية التى فى المناطق الشمالية سوف تضطر الى فرض الاحكام العسكرية القاسية وقد تمتد هذه الاحكام الى مناطق « البسو » و « الالب » وتتخذ اجراءات قد تتصف بالبربرية والتوحش واقترح هتلر أيضا ضرورة اقتناذ ايطاليا عن طريق اقامة حكومة فاشية بزعامة أحد الايطاليين الذين هربوا الى المانيا من مثل بافوليني وفارناتشى وربنائو ريشى وبرزيوزى او حتى فيتوريو موسوليني .

ثم عاد هتلر وفير رابه وصمم على أن يكون الدوتشى هو نفسه الذى يتولى هذه الحكومة التى سوف تعلن من راديو « راستبرج » فى ١٩ من سبتمبر على أن يعود الدوتشى الى ايطاليا ويقدم خونة يوم

٢٥ من يولية الى المحاكمة ، وينفذ حكم الاعدام فيهم ويسمح كذلك بقيام القوات الالمانية باحتلال المقاطعات الشمالية الشرقية من ايطاليا وهي «التواديجي» و «فينيسيا» و «جيوليا» و «ترنتينو» لصد أي هجوم قد يأتي عن طريق يوغسلافيا . كما يجب الظهور أمام العالم أجمع بأن دول المحور تقف موقفا متضامنا .

وفي نهاية الحديث أعلن هتلر أنه قرر تعيين سفير جديد يدعى «رودلف رهن» في روما ، وكان حاضرا هذه المقابلة . وترك موسوليني حجرة الفوهرر وهو في دوامة ، لذلك ذكرته ابنته «ايدا» بعد أن قابلته بعد مرور عدة أيام على هذا الاجتماع أنه قد فقد أرادته ، وفي الوقت نفسه كان هتلر قد أخبر «جوبلز» بأنه قد شعر أن موسوليني الذي عاد به سكورزبني أصبح رجلا أقل بكثير من الرجل الذي عرفه من قبل .

وقد علق «جوبلز» على خيبة أمل هتلر بأن موسوليني كان يبدو غير مستقر حول فكرة اعتقال خونة يوم ٢٥ من يولية واعدامهم لأن الدوتشي مثله مثل أي ايطالي يشعر بارتباطه بالعائلة لذلك لم يكن عنده الرغبة في معاقبة أي انسان ، فمثلا عندما أخبره هتلر أن «شيانو» أصبح شخصا مكروها في القيادة الالمانية أخبره موسوليني بأنه مهما كان فهو زوج ابنته ، ولكن هتلر اعترض على قوله بحدة وقال : أن ذلك يجعل جريمته وخيائنه أكثر شدة ، لذلك يجب معاملة الخيانة في ايطاليا بحزم وعزم وتصميم ، ويجب أن تظهر العقوبة أمام العالم أجمع .

وأعلن موسوليني بعد ذلك بصفته ايطاليا أنه قد قبل جميع شروط هتلر مهما كانت قاسية ومهما أدت الى تدمير ايطاليا . وكان «كيسلرنج» قد أعلن من قبل أن جميع الاراضي الإيطالية التي خلف الجبهة الالمانية أصبحت منطقة حرب خاضعة للأحكام العسكرية ، وأنه قد صدرت عدة قرارات لحماية الأوضاع ، ولكن موسوليني احتج على هذه الاوامر واعتبرها نوعا من اخضاع ايطاليا للحكم الالمانى وقال جعلته المشهورة : «اننى قد جئت الى ألمانيا لتلقى التعليمات» ..

وكان موسوليني يبدو كشخصية مغاوبة على أمرها في الوقت الذي كانت فيه ملابسه تبدو فضفاضة عليه وغير منسقة ، الامر الذي دعا هتلر الى إصدار أوامره الى البروفيسور «موريل» بالقيام بفحص موسوليني واعطائه العلاج اللازم .

وعاد موسوليني الى ميونيخ في ١٧ من سبتمبر وكانت صحته قد تقدمت كثيرا ، ولكن نظرات اليأس والتعب كانت تبدو في عينيه ، وفي مساء اليوم التالي أغلق على نفسه حجرته لاعداد خطبة موجهة الى الشعب الإيطالي عن طريق راديو ميونيخ .

وقد كتبت زوجته : «راشيل» تقول : «لقد ذهبت معه الى حجرة صغيرة في محطة الاذاعة في «كلر بلانس» وكانت هذه هي

المرّة الثانية التي يلقي فيها موسوليني خطاباً بالاذاعة بعد أن تعود القاء خطبه على العامة ، لذلك لم يبلغ موسوليني درجة الجودة والانتقان المعروفة في خطبه « . وكان صوته يبدو مجموماً على حين كانت الكلمات تتدفق من فيه بتلعثم حينما كان يخبر مستمعيه عن سجنه وعن هروبه الدراماتيكي ، ثم طلب من شعبه أن يسير وراءه إلى النصر .

ولكن « جوبلز » و « هتلر » لم يتوقعا قط أن يتبعه الشعب فقد نزلت إيطاليا « كشعب وكأمة عن عظمتها » ..

الفصل التاسع

الرئيس في جرنانو

العام الاول

٢٧ من سبتمبر ١٩٤٣ - ٢٧ من سبتمبر ١٩٤٤

« لقد كرسنا أنفسنا لأوامرنا وعتلنا وأناه
كزوج من المجانين . لقد بقي أماننا أمل وأجيد
هو خلق أسطورة حولنا . »

- ١ -

ظل موسوليني في المانيا فترة عشرة أيام أخرى في ميونخ أولا ثم انتقل الى « شلوز - هرشبرج » واستمر في قلعة هناك في أسفل جبال الالب البافارية بالقرب من « بارميش » وفي هذا المكان وضع الخطة الكاملة لاقامة الحكومة الجديدة في ايطاليا واعادة تأسيس الفاشية ، وفي الفترة بين ١٥ - ١٧ من سبتمبر سنة ١٩٤٣ أصدر ستة أوامر من مدينة « راستنبج » تتعلق بالجمهورية الاشتراكية الايطالية ، وقد منحت هذه الاوامر موسوليني جميع السلطات العليا لادارة الفاشية في ايطاليا واعادة تكوين الحزب الفاشي باسم جديد هو « الحزب الفاشيستي الجمهوري » (partito fascista Repubblicano) ، وكذلك إعادة تكوين جيش الماليشيا والتعاون مع المانيا ومعاقبة الحونة . وأصدر موسوليني قرارا بتعيين « السندرو بافوليني » سكرتيرا للحزب الجديد و « ريناتوريشي » قائدا لقوات الماليشيا .

وفي يوم ٢٧ من سبتمبر سنة ١٩٤٣ عاد موسوليني الى « روكا دل كاميناتي » بصحبة الجنرال « كارل وولف » رئيس الجستابو في ايطاليا حيث استقبل عددا من أعضاء حكومته الجديدة الذين أقسموا أمامه بيمين الولاء كرئيس للجمهورية ، وقد حضر أحد عملاء الجستابو هؤلاء الوزراء الى المنزل بعد أن أصدر « هملر » أوامره بتنفيذ هذه الحفلة .

وكانت القوات الالمانية في حال تعبئة تامة واستعداد للطوارئ في الوقت الذي كان موسوليني يحاول فيه استعادة سلطانه وقوته . وقد اقترح الالمان على موسوليني أن تكون عاصمة حكومته الجديدة مدينة « سالو » التي على بحيرة « چاردا » بدلا من روما التي يمكن تركها للحلفاء ، وعلى هذا الأساس تحرك موسوليني الى فيلا « فلترنيلي » في مدينة جرنانو

الصغيرة على جانب البحيرة التي تبعد عن مدينة « سالو » شمالا بعدة أميال وكانت القوات الالمانية تجوب هذه المنطقة باستمرار لدرجه ان موسوليني نفسه اضطر ان يشكو من هذه الاجراءات ويقول : « اننى لا أريد أن يظن أى انسان اننى سجين فى هذه المنطقة » وكان الجنود الالمان يتبعونه فى غدوهم ورواحهم فى لوريات عدة كما كان العملاء الالمان يستمعون الى مكالماته التليفونية على حين كان كل من الجنرال « وولف » والسفير « رهن » والدكتور « زكريا » والكولونيل « دلمان » ينقلون أوامره جميعا من « هملر » بعدم الابتعاد عن موسوليني ومراقبة زواره جميعا ، لذلك كان موسوليني يقول : « انه « وولف » و « دلمان » هما سجانائى الخصوصيان » .

اما بالنسبة للفكرة التى فرضها عليه هتلر هى الخاصة بمعاينة خونة يوم ٢٥ من يولييه فلم يعد موسوليني يعترض عليها ، بل قبلها وأصدر أوامره بضرورة البحث والقبض على هؤلاء الاشخاص وتقديمهم الى المحاكمة ، وكان يقول فى ذلك : انه يجب أن يظهر للعالم كله أنه قادر على رد المؤامرة الى الملك وعلى استعادة شعبيته كزعيم للفاشية فى إيطاليا .

وفى ٢٤ من نوفمبر ١٩٤٣ أصدر قرارا بإقامة محكمة خاصة بتنفيذ وعود هتلر وللنظر فى مصالح الدولة العليا فى وقت الحرب ، وبدأت المحاكمة فى الساعة التاسعة من يوم السبت ٨ من يناير ١٩٤٤ فى قاعة « كاسل فيشييو » فى « فيرونا » وكان أعضاء المحكمة يرتدون القمصان السوداء ويجلسون على منضدة طويلة معلق خلفها قطعة كبيرة من القماش الاسود مطرزة بشعارات الفاشية وكان قد وضع على يسارهم مقعد طويل يجلس عليه ستة من المسجونين ، وعن يمينهم يجلس الصحفيون ورجال السينما ، ويجلس امامهم المحامون ، ثم وضعت مقاعد المتفرجين خلف مقاعد المحامين ، وقرأ كاتب الجلسة قرار الاتهام بصوت مزعج ، اتهم فيه المذنبين « بالتآمر ضد سلامة واستقلال الدولة » ومحاولة قلب نظام الحكم يوم ٢٥ من يولييه ١٩٤٣ ، استنادا الى توهمهم بأن ذلك سوف يقود البلاد الى صلح مع الحلفاء ، واستخدموا فى ذلك عمليات عسكرية وأعطوا العدو كل مساعدة وتسهيلات » .

« وكان أول هؤلاء المتهمين هو المارشال العجوز « دى بونو » الذى وقف بزيه العسكرية وجميع الاوسمة التى حصل عليها منذ الزحف على روما ثم رفض قبول اتهماته بالخيانة ولم يكن على ذلك الوقت يشعر بأى خطر ، لأنه كان يعرف أنه أخلص لموسوليني أكثر من عشرين عاما الأمر الذى قد يدفع موسوليني الى النظر فى عدم الحكم عليه ، وكان الملك فر « بادوليو » قد توجهها جنوبا الى « برنديزي » ولكن « دى بونو » لم ينسحب معها ولم يحاول أيضا أن يخلق لميته التى تميزه ، بل توجه الى « فيرونا » فى غربته الخاصة وسلم نفسه وهو على ثقة بأن موسوليني سوف يراعى حكم الصداقة القديمة ، ولكنه عندما سمع طلب المدعى بإعدامه وقف صائحا وهو يقول : « ان هذه أمور سنوف تؤدى الى

الانهيار .. اننى أشعر أن هناك شخصا قد قرر قتلى * اننى رجل عجوز وعجوز جدا ، لذلك فانكم تأخذوننى من العدم الى العدم ، لذلك أرجوكم أن تسرعوا فى تنفيذ حكمكم * ثم جلس فى مقعده بين همهمة وشفقة الجمهور .

وعندما أعلن اسم « كارلويبارتشي » وزير الزراعة واتهامه بالاشتراك فى المؤامرة ، أعلن بكل هدوء أن جميع المسئولين الايطاليين كانوا يقفون ضد موسوليني ويرغبون فى عقد اتفاقية صلح مع الحلفاء لذلك عملوا على الاطاحة بالدوتشى ، ثم أعلن أنه كانت هناك اعتراضات من جانب أعضاء المجلس الأعلى ولذلك لم تكن هناك مؤامرة بالمعنى المعروف .

ثم نودى بعد ذلك على « شيانتي » الذى أعلن أنه قد سحب تأييده لمشروع جراندى ، فنادى بالتأييد المطلق للدوتشى ، ولكنه لم يذكر أيضا أى شئ عن المؤامرة كما فعل « جوتاردى » رئيس الاتحاد الفاشيستي للعمال الصناعيين الذى كان يأمل فى التخلص من نفوذ الدوتشى ومسئولية القيادة الحربية فى الحرب .

واستمرت الاتهامات توجه الى عدد آخر من أعضاء المجلس الأعلى حتى وصلت الى « شيانو » الذى أنكر انكارا باتا اشتراكه فى أية مؤامرة للتخلص من الفاشية والدوتشى وأعلن أن قرار جراندى لم يكن يقترح قط مثل هذا الامر « كما أننى لم أكن أتصور أن هذا القرار سوف يؤدى الى انهيار النظام الفاشيستي » .

ولكن المدعى العام اتهمه بأنه قد وافق على قرار جراندى قبل الاجتماع بيوم وهذا يعنى أنه كان يعرف المؤامرة من قبل ولم يخطر الدوتشى بها فرد عليه شيانو قائلا : « نعم لقد علمت بمشروع القرار قبل تقديمه بساعات قليلة وكان جراندى قد أخبرنى بأن سكورزا قد سلم نسخة من هذا القرار الى الدوتشى نفسه لذلك كان الدوتشى يعرف مقدما هذا الموضوع وما سوف ينور فى المجلس الأعلى » .

وبعد أن انتهت المحاكمة فى اليوم الثالث صدر الحكم باعدام هؤلاء الخمسة وهم :

دى بونو و باريتشى و جوتاردى و شيانو و مارينلى .

ثم تقدم بعض الأفراد من ذوى النفوذ بطلبات لتخفيف الحكم نظرا لخدماتهم وماضيهم المشرف فى تاريخ الفاشية فى إيطاليا ، ولكن موسوليني رفض جميع هذه الطلبات بسبب الضغط الواقع عليه من السلطات الألمانية ، واستطاعت « ايدا » موسوليني زوجة « شيانو » أن تهرب الى سويسرا بجميع مذكرات زوجها وبعض الوثائق الهامة التى تتعلق بالحرب .

وفى فجر اليوم التالى اقتيد الرجال الخمسة الى ساحة مجاورة للسجن حيث تم تنفيذ حكم الاعدام فيهم رميا بالرصاص .

بعد مرور ساعتين على تنفيذ الحكم تولى موسوليني رئاسة مجلس الوزراء وكان أول كلام نطق به هو : « لقد أخذت العدالة مجراها ، وعندما ترك هذا الاجتماع توجه الى حجرته وكان لم يتناول « فطوره » ، وقد ذكرت زوجته راشيل أنه أخذ ينهقه ويبكي في حال من الياس بعد أن تيقن تمسما موت « شسيانو » زوج ابنته وبقيته رفقاته ، وقال في هذا الوقت : « اننى أشعر تماما أن الشعب الايطالى قد سحب عطفه وتأييده لى بعد هذا الحادث » .

وبعد أن هدأت أعصاب موسوليني اجتمع بوزير الخارجية بعد الظهر وقال له : « الآن وبعد أن أطحنا الروس الى الأرض يجب أن نستمر فى عملنا حتى نهايته ، وعلى هذا الاساس اصدر أوامره بالقيام بحركة اعتقالات واسعة النطاق ، وفوض « تامبرونى » رئيس الشرطة جميع السلطات لتنفيذ هذه العمليات ، ولكنه بعد مرور عدة أيام تراجع وسحب أوامره وتعليماته واصدر أمرا بالعفو الشامل » .

وفى ١٤ من نوفمبر اجتمع الحزب الفاشيستي الجمهورى فى فيرونا لوضع الاسس العملية والمذهبية التى سوف يسير عليها ويطبقها فى نظام الحكم ، وقد تم افتتاح الجلسة الاولى بقرائة رسالة من الدوتشى أكدت المبادئ الفاشية الثورية والامانى التى أعلنها الحزب نفسها فى عام ١٩١٩ وكانت هذه المبادئ تهدف الى زيادة رفاهية العمال » .

وقد وجهت اتهامات جديدة الى الفاشية على حسب نشاطها التى مارستها فى عهدها القديم ، لأنها قد عملت الاصلاحات الاجتماعية وتعاونت تماما مع العناصر الرأسمالية الاستغلالية ولم تهتم الا بالبحث عن السلطة والقوة » .

وفى ٢١ من أبريل سنة ١٩٤٤ توجه موسوليني الى المانيا لمقابلة هتلر ، واستقبله هتلر بحارة فى « سالزبرج » وفى هذا الاستقبال أكد له موسوليني أنه يعتقد اعتقادا جازما أن الألمان سيستوفون فى الحرب » وكان جو المباحثات وديا ومشجعا وخاصة بعيد أن حضره « جرازيانى » و « مازولينى » و « فيلبو انفوسو » السفير الايطالى الجديد فى برلين » .

وقد تحدث موسوليني عن الاحتلال الالمانى لمنطقتى التوديجى وتريستا ووجه نظر هتلر الى سوء المعاملة التى يلقاها العمال الايطاليون فى المانيا » وكان هتلر ودودا فى هذه المباحثات لذلك وعد بالنظر فى جميع هذه الامور » .

وبعد مرور ثلاثة أشهر على هذا الاجتماع توجه موسوليني مرة أخرى الى المانيا لمقابلة هتلر ولكنه وجده فى هذه المرة ينتظره على رصيف المحطة وكان مصفر الوجه قلقا يبدو عليه الشحوب التام وقدم اليه يده اليسرى لتحيته واعتذر له لانه قد حدث له حادثة منذ لحظات قام بها الكولونيل

جراف كلوسى فون ستوفن برج الذى وضع عدة قنابل فى مقر اجتماع الفوهرر فادت الى قتل أربعة رجال . ورد عليه موسوليني قائلا : ان العناية الالهية تحرسك مرة أخرى ، فرد عليه هتلر قائلا : ان القدر قد خلقه لينصره دائما على أعدائه . وبدأت المناقشات حول الاسباب التى أدت الى عدم انتصار المانيا حتى الآن فى الحرب . وكان هتلر يقف بين الحين والآخر ويتحدث عن زعامته وعناية الاله به واختياره له لانقاذ أوروبا والعالم . وكان موسوليني ينظر اليه بدهشة وأخذ يعتقد أن هتلر قد أصيب بالخبل وجنون العظمة الالهية .

ولم يسفر هذا الاجتماع عن أية نتيجة كما لم يجرؤ موسوليني على المطالبة بالطلبين السابق ذكرهما . وكان الشعب الايطالى قد تعود أن يرى موسوليني عائدا وهو ممتلئ حماسا واشتعالا بآراء هتلر ، ولكنه شاهده هذه المرة وهو يعود دون أن يبدو عليه أى أثر لهذه المواجهة .

وبعد مرور شهر على زيارته لهتلر فى بروسيا قرر موسوليني القيام بجولة تفتيشية للجهة ، وكان الجنود يستقبلونه بالهتافات والحماس على حين كان يقدم النصائح والتعليمات الى القادة العسكريين والاقتراحات التى لا تصلح للنواحي العملية فى الجيش . وكان كيسلرنج القائد الالماني فى إيطاليا يضطر أن يستمع اليه يادب برغم أنه كان يعرف مقدما أن ما يقوله موسوليني لا يصلح أبدا للتطبيق فى الجيش .

وعاد موسوليني الى جرنانو ، وقد امتلأت نفسه بثقة جديدة وأمل جديد ، ولذلك أخبر زوجته راشيل بأن الجنود الالماني بالذات قد اظهروا حماسا منقطع النظير . ولكن هذا الامل قد أخذ يتلاشى بسرعة خلال الاسبوع التالى وعاد الى حاله السابقة من اليأس .

وفى شهر يونية ذهب اليه اوتوسكورزى لزيارته فوجده هادئا لدرجة كبيرة ، ولكن اليأس والتشاؤم كانا قد تمكنا منه ولم يعد الرجل القوى الذى كان يوجه الوزراء ويشرف على نشاطهم ، بل تركهم يسلكون الطريق الذى يختارونه وأصبح يبدو كأنه فيلسوف أكثر من كونه رئيسا للدولة لقد تحدث اليه عن التاريخ الالماني الذى كان يعرفه جيدا وعن القواعد الفلسفية للغاشية ، وكيف يمكن أن تتطور هذه القواعد فى المستقبل .

وبعد مقابله مع سكورزى كان دائم التفكير والتأملات ، وذلك بعد أن وصلتته أخبار اصطدام الايطاليين بعضهم ببعض فى خطوط الحرب ذلك الامر الذى أدى فى النهاية الى فوزى عارمة أدت الى اشتعال الحرب الأهلية بين الايطاليين فى نهاية عام ١٩٤٤ .

الفصل العاشر

الحرب الأهلية

نوفمبر ١٩٤٣ - ديسمبر ١٩٤٤

و لقد قررت ألا يبقى الحزب الفاشيستي بعد ذلك منظمة سياسية بل يجب أن يصبح منظمة عسكرية .

بدأت المساومة الفعلية ضد وجود الألمان في إيطاليا قبل اعلان الجمهورية الاشتراكية بفترة طويلة . وحينما أوشك عام ١٩٤٣ أن ينتهي كانت لجان التحرير القومي السرية تنتشر في غالبية مدن إيطاليا وقراها في الشمال ، وبجانب هذا تم تكوين عصابات من الهاربين من الخدمة في الجيش الإيطالي ومن بعض المجرمين والمحترفين والمغمورين وأعداء الفاشية . وقد انضم الى كل هذه الفرق كثير من الوطنيين الإيطاليين الذين كانوا يرون أن خلاص إيطاليا لن يأتي الا بهزيمة إيطاليا . وقد ضمت هذه اللجان السرية عددا من بعض الضباط الذين عرفوا محاولات جرازاني الخاصة لانشاء جيش وطني إيطالي بعيد عن التبعية لألمانيا وعدم قدرته على تحقيق هذا الهدف . وقد تولى الجنرال روفائيل كوردونا رئاسة اللجنة التي ضمت هذه الفئة من الضباط .

وفي نوفمبر سنة ١٩٤٣ عقد أول اجتماع في مونشيرو في بيدمونت ، وقد تقرر في هذا الاجتماع العمل على زيادة نفوذ هذه اللجنة عن طريق تحرير كل من الألمان والفاشييين على القيام بالاعمال الانتقامية ضد الشعب الإيطالي نفسه . ثم تقوم هذه اللجنة تحت ستر حماية الشعب الإيطالي من هذه الاعمال الانتقامية باغتيال الضباط الألمان والفاشييين . كما وافقت اللجنة أيضا على نسف الجسور وخطوط السكك الحديدية وشبكات الكهرباء والتليفون مهما كانت أهميتها السياسية .

كان النفوذ الشيوعي مسيطرا تماما على هذه الحركة وأصبح فيما بعد العنصر الوحيد تقريرا الذي يمارس سلطة التوجيه والتنفيذ معا . وكانت هناك عصابات تتكون جميعها من الشيوعيين وتسير على النهج والنظام السوفييتي نفسها على حين كانت هناك بعض العصابات التي اضطرت أن تقبل القليل من الشيوعيين داخل تنظيماتها .

وفي خلال شتاء سنة ٤٣ - ١٩٤٤ بدأت بعض العناصر في المشاغبة وفي تنفيذ بعض الخطط والقيام بعمليات اغتيال فردية وانتقامات خاصة .

ولكن النظام الفاشيستي في المنطقة الإيطالية التي يحتلها الألمان لم يكن يخشى خطوة هؤلاء الأعداء .

وفي ٢٣ من مارس أي في العيد السنوي لتأسيس الفاشية قامت لجنة التحرر القومي في روما بتنظيم مذبحة لكي تكون تحريضا للجمعيات التي في الشمال على القيام بهذه الأعمال نفسها ، ففي مساء هذا اليوم وضعت كمية من المفرقات في عربة ودفعت الى طريق رازيلا حيث مركز القيادة الألمانية ، وقد أدى هذا الانفجار الى مصرع ٣٣ جنديا ألمانيا وعدد قليل من المارين من الإيطاليين ، ونتيجة لذلك قامت القوات الألمانية باعتقال ٣٣٥ شخصا وأعدمتهم في اليوم الثاني في طريق إرديا ، ودفنوا في كهوف فوس إردياتيني .

وانتشرت أخبار هذه المذبحة المروعة في كل أنحاء إيطاليا وأدت الى زيادة الأعمال الانتقامية في كل مكان . وقد قامت السلطات الألمانية بأعدام مائة من رجال المناجم في إحدى القرى الصغيرة . وبعد مرور عدة أسابيع على هذا الحادث أعلنت السلطات تنفيذ حكم الإعدام في ٤٠٠ سجين و ١١٠ من الهاربين من الخدمة في الجيش ، وبعد ذلك بفترة قصيرة تم ترحيل ٢٠٠٠ رجل بالقوة الى ألمانيا بعد أن تم نسف الجسور المقامة على النهر في بيدمونت ، وفي ٢١ من يونيو أعلن موسوليني أن الحزب الفاشيستي لا يمكن أن يستمر كحزب سياسي بل يجب أن يتطور الى منظمة عسكرية . وأعلن ابتداء من الأول من يوليو أن جميع الأعضاء الذين تتردد سنهم بين ١٦ عاما و ٦٠ عاما وليسوا في القوات المسلحة التابعة للجمهورية الإيطالية يجب أن يتقدموا لارتداء الملابس الرسمية والانضمام الى الجيش و جيش القمصان السوداء ، وذلك للمحافظة على النظام العام وعلى حياة المدنيين ضد العدو وضد الأعمال الانتقامية التي يقوم بها بعض المخربين .

وقد فسر الكثيرون هذه المعركة على أنها إعلان للحرب الأهلية ، وقد ازدادت أعمال التنكيل وإجراءات الانتقام ضد اللجان السرية من جانب التنظيمات الفاشية ، وضد الشعب الإيطالي من جانب الجيش الألماني الرابط في الأراضي الإيطالية : فقد قام الجيش الألماني بذبح جميع سكان قرية سانتا إناديستازيا في أغسطس سنة ١٩٤٤ ، وقام أيضا فيمبا بين ٢٨-٣٠ من سبتمبر بقتل ٧٠٠ شخص في مارزا بوتو جنوبي بولونا ولم يكن الجيش الفاشيستي يعرف كل هذه الأعمال من جانب الألمان في أوانها .

وقد لاحظ موسوليني زيادة الوحشية بين الفاشيين وأعداء الفاشية على السواء ، لذلك كان يقول : أن أيام الرحمة والرفقة قد انتهت . وقد حاول تهدئة الأوضاع فأصدر أمره الى حاكم مدينة تورين للتفاوض مع الجنرال أوبرتي الذي كان قائدا للجيش الإيطالي الرابع وأصبح قائدا من قواد المنظمات السرية ، فقد تعثرت المفاوضات بعض الوقت ثم وافقت السلطات الإيطالية بعد ذلك على تسليم ٥٧ ضابطا من المعتقلين الى اللجان

السرية على أساس أن هذا الاتجاه قد يخلق نوعا من التفاهم والتوفيق بين الفاشيستين وأعداء الفاشية .

وكان موسوليني يتخبط في سياسته تجاه هذه العناصر ، فتارة يصدر أوامره بأعدام المعتقلين من أعضاء المنظمة السرية ، وتارة أخرى يصدر العفو عنهم بحجة أن هذا الاجراء سوف يؤدي الى وقف تيار العنف وعمليات الانتقام .

حاول موسوليني أن يكتسب الشعب في شمال إيطاليا الى صفه من طريق تأميم الصناعات ولكنه فشل . وكان يحاول اتباع هذه السياسة الاشتراكية لحل المشكلات الاقتصادية التي واجهتها الجمهورية ، ولاكتساب العمال في هذه المنطقة الى جانبه . وعندما اجتمعت لجنة التحرر القومي في روما وأصدرت أمرا بالقيام بأضراب شامل في الجمهورية لم يهتم موسوليني كثيرا بخطورة هذا الامر ، وكان كل ما يقلق موسوليني نفسه النتائج التي سوف تترتب على اغلاق المصانع وخروج مايزيد على ٢٥٠.٠٠٠ في مظاهرات عامة ، وعندما طلب الألمان من موسوليني اتخاذ اجراءات سريعة وحازمة لوقف هذا الأضراب ، وموسوليني ذلك قائلا : أن هناك ما يكفي من الحرب القائمة بين الإيطاليين بعضهم وبعض .

ولم يكن الخوف من قيام جرب أهلية بين الإيطاليين داخل إيطاليا نفسها هو الذي يشغل ذهن موسوليني ، وإنما كان الخوف من قيام صراع دموي بين الإيطاليين في جبهات الحرب ، الامر الذي سيؤدي الى انهيار الجيش وتفككه . وكانت لا تزال هناك ثلاث وحدات ايطالية تحارب الدول المتحالفة وهي :

وحدة باريرينجو في جبهة انزيو ، ووحدة القمصان السوداء التي تحارب تيتو في كروانيا ، ووحدة ماير ساليري التي تحارب السلافيين في كارسو . وكانت هناك وحدة برساليري غير السابقة تحارب الألمان تابعة للمارشال بادوليو .

وكان موسوليني يبتسم في فخر عندما يستمع الى شجاعة القوات التي تحارب الألمان . وكان يقول : « انها مهما كان الامر فهي من القوات الإيطالية وهذا ما يعني » .

الفصل الحادى عشر

الرئيس فى جرانانو

الشهور الأخيرة

ديسمبر ١٩٤٤ - أبريل ١٩٤٥

« اننى أشبه بقائد السفينة التى تسير
وسط العواصف وحين تتحطم السفينة
أجد نفسى وسط محيط نائر ، فأتعلق
بقطعة من الخشب لا أعرف كيف أنحكم
فيها أو أوجهها ؟ »

قام موسوليني فى ديسمبر سنة ١٩٤٤ بزيارة ميلانو وبصحبته
ولف رهن ، حيث استقبلا هناك من جماهير الشعب بالتهليل والهتاف
الامر الذى رفع معنويات موسوليني الى حد لم يكن أحد يتصوره . وكانت
الجماهير تتدفق وتصيح « دوتشى ! دوتشى ! دوتشى ! » .

وحينما عاد موسوليني قال لزوجته : انه لم يشاهد مثل هذا
الاستقبال الحافل طوال العشرين عاما السابقة التى حكمت فيها الفاشية
إيطاليا . وقد تم اذاعة هذا الاستقبال على جميع أنحاء إيطاليا للدلالة على
مدى استمرار شعبيته بالرغم مما حدث . وكان موسوليني قد تحدث فى
الاجتماع الذى عقد فى المسرح الغنائى عن عودته بالاصلاحات السياسية
والصناعية ، وأعلن انه لم يعد من الضرورى أن يحمل العامل بطاقة الحزب
الفاشى لأنه سوف يتم قريبا اقامة أحزاب سياسية أخرى والاعتراف بها ؛
وعندما تحدث عن انتصار ألمانيا المحقق وأشار الى الأسلحة السرية التى
سوف تستخدمها القوات الألمانية ويكون لها أثر خطير على اتجاه الحرب
كان صوته يهتز بقوة وعنف كأنه قد عاد الى أيام عظمته الخوالى .

وبعد هذه الزيارة مباشرة توجه الى زيارة الفوهرر ، وعندما وصل
قطاره الى خارج ميونيخ توقف انتظارا للقطار الذى يقل هتلر والقادم من
الشمال وتقابل الرجلان وتصافحا بحرارة وشوق وشعور بالسعادة ، ثم
استقلا سيارة متجهين الى مخزن الأسلحة الجديدة السرية . وحينما عاد
موسوليني الى جرانانو كان فى غاية الخماس وهو يصيح قائلا : « لقد
كسبنا الحرب » .

كانت هذه هى آخر كلمات مملوءة بالثقة ينطق بها موسوليني ، فلم
يكذب يمضى بعض الوقت حتى سقط فى وهدية من الياس والانهيار الجسمانى

والأدبي • وكان يبدو أن جميع آماله قد ضاعت وأن جميع أحلامه قد انهارت وتدهورت بالرغم من أنه كان يعتقد أن الأسلحة السرية الألمانية سوف تستطيع أن تقوده مع ألمانيا إلى النصر وأن الحلفاء قد كابدوا خسائر لا طاقة لهم بها • وقد التقت به إحدى الصحفيات وتدعى «مادلين مولير» فوجدته إنسانا لا يكاد يعرفه أحد بالرغم من الشهرة التي احاطت به فقد كان يخلق شعرا رأسه لدرجة أنها كانت تبدو خالية تماما من الشعر، وكان بريق عينيه قد خبا ، وأصبح يركن إلى التواضع والهدوء وقبول كل ما يصنعه له المستقبل لدرجة كانت تدعو إلى الرثاء وإلى العطف عليه • وعندما قابلته هذه الصحيفة الفرنسية ابتدراها قائلاً : « ماذا تريدني مني ؟ .. انني أتذكر أنك قد جئت إلى روما منذ سبع سنوات ، وكنت في ذلك الوقت شخصا هاما ، ولكني الآن لم أعد كذلك ، ولم أعد أختص أي شيء بعد ذلك حتى الموت نفسه ، فقد تعذبت كثيرا • وأنا أعترف أنني قد ارتكبت أخطاء كثيرة لذلك سوف أدفع ثمنها إذا كانت حياتي البائسة تساوي هذا الثمن • لقد ارتكبت هذه الأخطاء وأنا أتبع المنطق والعقل ولكني لم أكن ارتكبتها قط حينما كنت أتبع الغريزة .. »

نعم يا سيدتي لقد انتهيت وألن نجني بالرغم من انني ما زلت أعمل ، ولكنني في الواقع أنتظر النهاية الحتمية التي سوف تكون قمة المأساة • انني لا أشعر بتحسّن في حياتي بل أشعر بهبوط وانهايار ، وذلك بجانب عدم قدرتي على تناول ما أرغب فيه من أطعمة نتيجة الأمراض التي اخترقت جسدي • • ربما كان القدر قد أوجدني لهذا الشعب لكي أرشده إلى طريق الحياة السليمة ولكني لا أعرف لنفسى طريقا الآن • ولكن هل سمعت من قبل أن هناك دكتاتورا يشعر بالثقة التي أولاه الشعب إياها ويحسب حسابها ويحاول ألا يخل بها • ،

وقد عبر رأيه في هذه اللحظة عن أنه لا يرغب أن يفعل أي شيء في ذلك الوقت سوى قراءة أعمال الفلاسفة الكبار منتظرا نهايته •

وعندما وجهت إليه سؤالا عن شيانو قال لها : « انني منذ يناير وهو الشهر الذي أعدم فيه شيانو وأنا أشعر انني أسير إلى حتفي ، وأشعر ان الطريق الذي أسير فيه طريق طويل فظيع منمر ، وأشعر انني أشبه بقبطان السفينة التي وجدت نفسها وسط عواصف عارمة ثم تحطمت ووجدت نفسي وسط محيط هادر فتعلقت بقطعة من الخشب لا أعرف كيف أتحكم فيها أو أوجهها ؟ ولم يعد هناك أي إنسان يستمع إلى صوتي الآن • ولكن سوف يأتي اليوم الذي يستمع فيه العالم أجمع إلى صوتي ، •

كانت هذه هي الطريقة التي بدأ موسوليني يتحدث بها لكل إنسان يزوره وكانت لهجة تأخذ طابع المأساة والغموض والخطابة في بعض الأحيان ، وكان يحاول أن يغير مجرى الحديث باستمرار من السياسة إلى الفلسفة الدينية وإلى التاريخ وإلى الرسامين الإيطاليين وإلى شعر كل من دانتي ودانتيو •

وقد زاره كاتب آخر يدعى «بياريجيدوري كورتى» فوجده راغبا عن التحدث في السياسة الحالية ويفضل التحدث عن مازيني وغاريبالدي

والفلسفة ، وكان يحاول دائما أن ينهي مناقشاته في أى مؤتمر مع وزرائه
أو مع الألمان بعبارات فلسفية أو تاريخية أو دينية .

وعندما بدأت قوات الحلفاء في ٦ من أبريل بالقيام بهجمات عنيفة
واحتلال منطقة ماسة ، وتراجعت الجيوش الألمانية عبر توسكاني ، صدم
الكولونيل دلمان الذى كان مشغولا في ذلك الوقت بمشكلات الانسحاب
والتسليم عندما قال له موسولينى فجأة : « هل تؤمن ياكولونيل بالله ؟ »
« ان الجنرال وولف يؤمن بالله .. »

الفصل الثاني عشر

استسلام الالمان

فبراير - أبريل سنة ١٩٤٥

« ان لي كل الحق على الاقل في أن أعرف ما يدور هناك » .

قام الكولونيل دولمان والجنرال وولف دون علم موسوليني بالتفاوض مع الحلفاء لتسليم الجيوش الألمانية في ايطاليا وكان الوسيط هو الكردينال « أدل فونسوسوستر » كبير أساقفة ميلانو ، وكان الهدف من ذلك هو منع التضحية - التي لا لزوم لها - بألوف الرجال ، كما أن المنظمات السرية قد قويت لدرجة تهدد القوات المربطة في ايطاليا ، وكانت قوات الحلفاء ترسل الاسلحة والعتاد الى هذه المنظمات السرية ، الأمر الذي أدى الى دفع الكولونيل دولمان الى التفاوض أيضا مع الجنرال « كادورنا » رئيس أركان حرب المنظمات العسكرية السرية . وقد اختار الكردينال شوستر قسيسا ذكيا مدربا يدعى « دون جوسبي بتشيياريا » كمساعد عسكري له .

وفي الوقت نفسه أعد الكولونيل دولمان ترتيباته الخاصة لمنح البارون لويجي باريللي تصريحاً للخروج الى سويسرا بحجة العلاج حيث بقي في زيورخ في منزل أستاذ صديق له يدعى هوزمان مدير معهد زوججربج . وفي أحد الايام زار أحد الاشخاص باريللي وقدمه باريللي الى البروفيسور هوزمان على انه الكولونيل دولمان من رجال الجيش الألماني وأنه يجب أن يتذهب الى السفارة الأمريكية لاحتضار مستر الن دالاس الى البيت .

ولم يكن دالاس يرغب في الدخول في مفاوضات في هذه اللحظة بالذات لذلك ارسل مساعده الدكتور جيافرنس بدلا منه وهو الذي اجتمع بدولمان في « كافيه بيانكي » حيث تحدثا عن قائمة مجرمي الحرب ، وأكد له المندوب الأمريكي بأن اسمه في هذه القائمة وأنه لكي يحذف اسمه من هذه القائمة يجب أن يعمل ما في وسعه لانتهاء الحرب في ايطاليا ، وكان جيافرنس يشك في آن دولمان ليست عنده النية على القيام بهذا العمل كما أنه ليس له نفوذ أو قدرة على اعسداد ترتيبات التسليم لذلك طلب جيافرنس من دولمان اثباتا لقوته ونفوذه أن يحضر الى الحدود السويسرية أحد القادة المعادين للفاشية الموضوعين في السجن الآن وطلب دولمان من جيافرنس أن يحدد له اسما ، فاستمهل جيافرنس الى أن يستشير دالاس ، وقد حدد دالاس قيسا بعد اسم « فريتشيو باري » وكان يعرف

مقدما أن احضار هذا الشخص الهام من أيدي الفاشيين ضرب من ضروب المستحيل ولم يكن يمشى أسبوع واحد على هذا الحديث حتى كان باري وزوجته وأوسماني وهو أحد القادة المعادين للفاشية داخل سويسرا نفسها وذلك بالرغم من أنهم قد حكم عليهم بالإعدام في فيرنا .

وفي ٨ من مارس حضر الجنرال وولف الى سويسرا وتقابل مع الن. دالاس . وتباحثا معا حول انتهاء الحرب في إيطاليا ولكن دالاس لم يعده بشيء . وعند عودته الى إيطاليا عرف ان القيادة الألمانية قد نقلت الفيلد مارشال كيسلرنج من قيادة الجيوش الألمانية في إيطاليا الى الشمال ووضعت محله راندستادت ، ولم يكن وولف يعرف الى أي مدى يستطيع ان يثق في خلف المارشال كيسلرنج ؟

وفي ١٩ مارس قابل دولان الميجور جنرال ايري القائد البريطاني والجنرال اليسنتزر الأمريكي في اسكونا التي على بحيرة ماجيوري بين الحدود السويسرية الإيطالية وبحث معهم شروط التسليم ولكن عند عودة دولان وجد انه قد صدرت تعليمات من ألمانيا من هملر نفسه تقول : ان عائلة الجنرال وولف وزوجته دولمان قد وضعا تحت الرقابة الشخصية للجستابو في ألمانيا ، وصدر الأمر أيضا بمنع الجنرال وولف من مغادرة إيطاليا .

وكان هملر يتصل بالجنرال وولف لاختباره باستمرار عن عائلته لمعرفة مكان وجوده باستمرار ، لذلك أخطر الجنرال وولف الجنرال باريللي . انه سوف يقطع المباحثات ، ولكن باريللي شجعه على عدم قطع هذه المباحثات على أساس أنه قد قطع شوطا كبيرا في المخاطرة ، واقتنع بذلك واستمر في اتصاله بالحلفاء عن طريق جهاز راديو في حجرة نومه .

وفي آخر يوم مارس حصل على موافقة بالتسليم من قيادة الجيش في إيطاليا ولكن في ١٣ من أبريل استدعى فوراً الى برلين فودع أصدقائه وكتب وصيته ورحل .

ولكن قبل ان يمر أسبوع واحد عاد مرة أخرى الى إيطاليا فقد اصدر هملر أوامره بأن يعود الى إيطاليا ليكتب تقريراً شخصياً عن الأوضاع هناك ويقدمه الى هتلر بنفسه ، وفي الساعة الرابعة والنصف من صباح يوم ١٨ من أبريل كان هتلر يستمع بنفسه الى هذا التقرير وهو شارد الفكر ولم يعلق عليه بشيء ، وبعد أن استمع اليه لم يتحدث عن إيطاليا وإنما تحدث عن امكانية فصل روسيا عن البريطانيين والأمريكيين . وفهم وولف من هذا الاتجاه أن هتلر يود الانقضاء على القوات الألمانية في إيطاليا حتى يمكنها أن تعبر الألب وتتجه لمحاربة الروس في حال تازم الموقف ، وعندما ترك هتلر مجلس الاستشارة التي كان يستمع فيه الى هذا التقرير لم يكن أمامه سوى أمل واحد وهو أن يتصارع أعداؤه بعضهم مع بعض وهو أمر لن يحدث وكان قد نزع كل شيء عن إيطاليا من فكره .

وفي خلال أسبوع من عودة وولف الى إيطاليا تقابل مع ممثلي الحلفاء على الحدود السويسرية واتفق معهم على التفاصيل النهائية لتسليم القوات

الألمانية في إيطاليا بدون قيد أو شرط والإجراء الذي سوف يتخذه ضد
أي قائد ألماني يقف حائلاً ضد تحقيق هذا الاتفاق .

وبعد ذلك اتجه وولف مع دولمان الى قصر الكردينال شوستر في
ميلانو لمقابلة ممثلي المنظمات السرية الإيطالية وعرضاً عليهم مشروع
الاتفاق مع الحلفاء فقبلوه على الفور ، وأخبر الألمان أن لجنة التحرر
القومي لشمال إيطاليا قد أصدرت أوامرها في ٢٥ من أبريل للعمل ضد
حكومة موسوليني والوقوف مرة واحدة ضد هذه الحكومة وضد نشاط
المحور .

وقبل أن تتخذ لجنة التحرر القومي أول خطوة لها ضد حكومة
موسوليني أصدر الجنرال وولف أوامره الى رئيس قسم الجستابو في
ميلانو الكولونيل رودوف لمنع القوات الألمانية من التدخل في الشؤون
التي تخص الإيطاليين فقط .

ولم يكن موسوليني يعرف ما يجري في الخفاء وكان كل ما وصله
هو بعض الإشاعات التي تقول ان هناك محاولة للاتفاق مع الحلفاء . وقد
انزعج موسوليني لهذه الأخبار وطلب من وولف ورهن معرفة ما يقوم به
كل منهما من نشاط قائلا : « ان لي كل الحق على الأقل في أن أعرف
ما يدور هناك » .

وفي ١٣ من مارس قرر موسوليني أن يستدعي ابنه فيتوريو
والكردينال شوستر لوضع الترتيبات اللازمة لحماية السكان المدنيين في
حال انسحاب القوات الألمانية تماماً من إيطاليا وتقدم القوات الفاشية الى
المواقع الدفاعية في منطقة الألب ولكن الكردينال أخبره بأنه قد تم اتفاق
مع الحلفاء على تسليم القوات الألمانية في إيطاليا بدون قيد أو شرط قائلا:
ان الأمر يجب أن يعود الى السلطات الألمانية العليا أولاً وقبل كل شيء .

وفي ٦ من أبريل تلقى تقريراً بأنه قد صدرت الأوامر الى بعض
القوات الألمانية بمغادرة البلاد متجهة الى ألمانيا . وصاح موسوليني بأنه
يجب عدم الاستماع الى الشائعات لأنها دعاية مدسوسة من جانب الحلفاء !

الفصل الثالث عشر

التحرك إلى ميلانو

١٩ - ٢٥ من ابريل سنة ١٩٤٥

« لقد قأمرت حتى النهاية ولكنى غلبت على أمرى » .

استقبل موسوليني وزير داخلته فى ١٣ من ابريل وسأله عن رأيه فى سير الحرب فى ذلك الوقت ، فرد عليه الوزير بأن دول المحور قد خسرت الحرب ، ولكن موسوليني احتج على هذا القول بأن فى ألمانيا توجد مقاومة عنيفة . ورد عليه الوزير قائلاً : ان العيرة بالنشائج النهائية . فسكت موسوليني ثم أرفد بعد ذلك قائلاً : « انك على حق فلم يعد هناك مايمكن عمله » .

وفى ١٤ من ابريل حضر بافيلونى اجتماعاً عقده الدوتشى فى فيلا « دل اورسلونى » لتقديم الخطط التى وضعها بشأن مواجهة الوضع عند احتمال تسليم الألمان نهائياً ولم يحضر هذا الاجتماع أى ممثل عن القوات الألمانية - سوى الجنرال وولف الذى لم يعترض على أى مشروع من مشروعات بافيلونى .

ولم يتحدث موسوليني الا قليلا ، وكان يبدو عليه أنه مستعد كل الاستعداد لقبول قرارات بافيلونى دون أية مناقشة ، ولم يعترض على الخطط التى وضعها بافيلونى سوى جرازيانى الذى انتقد الاستعدادات والترتيبات الخاصة بهذه الخطط ، ولكن موسوليني نهزه قائلاً : « ان هذه القرارات ليست ملزمة لأى فرد ، فكل منكم يستطيع أن يسير فى اتجاهه الخاص » .

وفى ١٦ من ابريل اجتمع وزراء الجمهورية لآخر مرة حيث أخبرهم موسوليني أنه قرر التحرك الى ميلانو لأنها الوحيدة التى يمكن اعتبارها عاصمة للجمهورية الإيطالية بعد أن ضاعت روما .

وفى الساعات الأولى من مساء يوم ١٩ من ابريل استعد موسوليني لمفادرة جرنانو متجها الى ميلانو ضارباً عرض الحائط بالنصائح التى قدمها اليه كل من رهن ، وولف واصطحب معه قوات المانيا برئاسة البكابتن اوتوكيسينات والملازم فريتس برزر لحراسته .

وفى ميلانو أقام موسوليني مكتبه فى حجرة بالدور الأول فى قصر

منفورتى حيث استقبل فيه طابورا لا نهاية له من الزوار مما اثار حماسه من جديد ، وجعله يبدو أكثر نشاطا وأملا .

وفى ٢٠ من ابريل كانت تبدو من عينيه نظرة الثقة والاطمئنان والهدوء وكان يتحدث عن استمرار المقاومة فى فالتيلينا حيث كان يعبر عن آماله فى امكانية اقامة حكومة مستقرة والاستعداد للاتفاق على صلح أو سلام مشرف ، كما بحث أيضا امكانية اقامة جبهة معادية للملكية بالاتحاد مع الاشتراكيين .

وفى ٢١ من ابريل استقبل موسوليني السفير الألماني رهن وتحدث اليه كثيرا عن التطورات الأخيرة ولكن رهن رأى فى نظراته شبح الموت والرعب من التطورات التى بدأت تنكشف أمام عينيه ، فقد وصل الى علمه فى يوم ٢٠ من ابريل أن بولونا قد احتلت ، ووصل أيضا الى علمه يوم ٢٢ من ابريل أن مناطق الو ، ومودينا ، ورجيو قد سقطت ، وفى اليوم التالى علم أن بارما كرىمونا ومنتوا قد سقطت تماما وإن قوات المنظمات السرية قد احتلت جنوا ، واحتلت قوات تيتو منطقة فيوم .

وأصبحت بذلك قوات الأعداء تبعد عن مناطق الدفاع بمسافة لا تزيد على ٦٠ ميلا الأمر الذى دفع موسوليني الى فقد الأمل فى استمرار المقاومة حول منطقة الالب لفترة معقولة . وحينما نصبح بأفارينى جويى أن يقوم الدوتشى بالهرب الى سويسرا أو اسبانيا رفض بشدة كما رفض من قبل اقتراحا أرسلته اليه إحدى صديقاته السابقات وتدعى فرنسيسكا لافانينى التى كانت تقيم فى ذلك الوقت فى الأرجنتين كما اقترحت عليه صديقه كلاريتا بيتاشى أن يعلن : « ان موسوليني قد لقي مصرعه أثر حادث اصطدام سيارته » ولكنه رفض هذه الاقتراحات جميعها فقد قرر أن يموت فى فالتيلينا لأنه كان يعتقد أنه قد انتهى ولكن الفاشية لم تنته ولن تنتهى .

وكان موسوليني قد صمم أن يحافظ على عائلته وأن يبعدها عن منطقة الخطر ، لذلك اتصل بزوجه راشيل فى ٢٣ من ابريل وأخطرها أنه سوف يطير إليها فى جرنانو للإشراف على عملية نقلها الى سويسرا ، واتصل أيضا بكلاريتا ليحرضها على الهروب ولكنها رفضت بحجة ارتباط مصرها بمصيره .

وفى مساء يوم ٢٥ من ابريل استدعى موسوليني الجنرال مونتانا رئيس بوليس ميلانو وجرازيانى لمقابلته فى مكتبه لبحث خطة تراجع جميع قوات الجمهورية الى شمال ميلانو وأخبرهم موسوليني فى هذا الاجتماع انه سوف يطلب من الكردينال شوستر اعداد اجتماع له مع قادة لجنة التحرر القومى لبحث شروط التسليم ، وأعلن انه سوف يوقف أية تضحية بعد ذلك فى صفوف الجيش . وكانت المحادثات التى تمت بين موسوليني وشوستر فى غاية الصعوبة نظرا لتصميم موسوليني على رأيه ولكن الكردينال طلب من موسوليني أن يلقى ايطاليا شر الخراب الذى لا فائدة من ورائه ، وأن يقبل تسليما مشرفا ، وكانت أمام موسوليني مشكلتان هامتان هما كيفية تسريح الجيش الايطالى النظامى ، وجيش

الماليشيا الجمهوري ، ثم عودته الى فالتيلينا بثلاثة آلاف جندي من ذوي القمصان السوداء لمواصلة الحرب في الجبال ، ولكن الكردينال شوستر رد عليه بأنه يجب ألا يعيش في أوحاشه لأنه قد خسر الحرب نهائيا ولأن ذوي القمصان السوداء لن يتبعوه بهذا العدد الضخم . وكان شوستر يعتقد في قرارة نفسه أن موسولينى لن يتورع عن الذهاب الى جـجـور الجبال لقيادة حرب عصابات ، لأنه كان صلبا في رأيه وتصميمه .

وبعد أن انتهى الاجتماع قام الكردينال شوستر بالاتصال بلجنة التحرر القومي للاعداد لهذه المقابلة ، وفي الساعة السادسة مساء من هذا اليوم نفسه اجتمع موسولينى والمارشال جرازيانى بمننوبين عن لجنة التحرر القومى كان من بينهم آشيلى مرازا وهو محام من الحزب الديموقراطى المسيحى وريكاردو ليومباردى وهو مهندس وعضو فى حزب العمل ، ودون جوسبى بئشميريا ، والكردينال شوستر نفسه ، وأجريت المناقشات فى جو من الحماس يوحى فى بدايته بالنجاح التام ووافق أعضاء لجنة التحرير على أن القوات الفاشية التى سوف تعتقل وتوضع فى السجون سوف تعامل كاسرى حرب على حسب القواعد المنصوص عليها فى اتفاقية لاهاي ، وأن عائلات الفاشيين لن تذهب ضحية لثيول عائلتها وأن الدبلوماسيين الذين فى ايطاليا سوف يتمتعون بجميع الحصانات والامتيازات التى خولهم اياها القانون الدولى .

وكان موسولينى يستمع الى هذه الشروط فى صمت ويبدو أنه موافق عليها ، ولكن عندما تحدث أعضاء اللجنة عن مجرمى الحرب وخاصة المارشال جرازيانى قفز هذا على قدميه وصاح : « لا لا يا سيدي الدوتشى » . اننا لسنا مضطرين لأن نخون حليفنا ، اننا لن نهجى الألمان ونفاوض من أجل مثل هذا العمل ، ولا نستطيع أن نوقع مثل هذا الاتفاق دون وجود الألمان اننا لا نستطيع أن ننسى القوانين والواجب والشرف » . فصاح موسولينى بغضب قائلا : « هذا مستحيل » ثم طلب أن يرى صورة من المعاهدة المقترحة ولكن بئشاريا واجه موسولينى بحقيقة تفاوضه مع الجنرال وولف عن طريق السفير الألمانى والكولونيل رودف . فثارت فائرة موسولينى واتهم الألمان بالخيانة من وراء ظهره وأعلن أنه سوف يتخذ الاجراءات اللازمة لحماية ظهره دون التقيد بالتزاماته مع الألمان .

وحاول الكردينال شوستر والمارشال جرازيانى أن يهدئا من ثورته ولكنه لم يكن فى حال تسمح له بالاستمرار فى المفاوضات ، وأعلن أنه لن يتفق على شيء قبل أن يتحدث الى القنصل الألمانى ، وطلب مهلة ساعة حتى يوافق على شروط طلب التسليم ، وخرج موسولينى من حجرة الاجتماع مهددا بأن يعلن خيانة الألمان فى الراديو .

وبعد مرور نصف ساعة على مفادته حجرة الاجتماع استقبل القنصل الألمانى فى مكتبه وهو فى ثورة من الغضب وأخبره بخيانة الألمان لاطاليا ، وبعد هذه المقابلة أخذ موسولينى يفحص خريطة ايطاليا التى فى مكتبه بدقة وقرر أن يترك ميلانو على الفور متجها الى كومو وهى ليست طريقا مباشرا يؤدى الى فالتيلينا ، وانما اختارها لأن التقارير وردت اليه .

بتقدم الجنود الأمريكيين في منطقة برجانو وان قوات لجنة التحرير القومي قد قطعت الطريق الى ليكو . ولم يكن هناك أى انسان يعرف ماذا ينوي موسوليني أن يفعله حينما يصل الى كومو ، فكان البعض يعتقد أنه سوف يتجه الى شياسو ومنها يهرب الى سويسرا وكان البعض الآخر يعتقد أنه شعر بالتحرر من القيود الألمانية وانه سوف ينفذ كل ما يطرأ بذهنه بكل شرف . وخرج موسوليني من مكتبه الى الممر الخارجى حيث التقى به شينجو احد كبار الفاشيين في ميلانو ، أخبره بأن يعود الى القصر مرة أخرى نظرا لوجود اعداء له بالخارج يترقبون خروجه لاغتياله ونصحه كل من بافاريني جويدي وريباتو ريتشى وابنه فيتوريو بالطيران الى أسبانيا فرفض كل هذه الاقتراحات وصاح قائلا : « هل تريدون إعادة يوم ٢٥ من يوليو مرة أخرى ؟ » ولكنهم فى هذه المرة لن ينجحوا .

وكان موسوليني يرتدى الزى الرسمي لقوات المايشيا الفاشية ويضع على كتفه مدفعا رشاشا ويحمل معه حقيبتين صغيرتين تضمّان أوراقه السرية ، أعطاهما مع بعض النقود كرادورى وهو أحد الفاشيين المخلصين واتجه الى كل من سلفستري وبرسانى وعانقهما فى صمت وأعلن بصوت أجش انه يتجه الى فالتيلينا ثم خطا الى عربته التى أقلته وابتعدت .

وكانت هناك قوة من جنود القمصان السوداء تسير محاذية ركبته لشق الطريق أمامه وإبعاد التكتلات عنه ، وكان يجلس مع موسوليني فى العربة أحد الحرس ومعه مدفع رشاش ، وكان يتبعه ما يقرب من ثلاثين سيارة ولوريا محملة بمتلكاته الخاصة الثمينة وبعدد من الأفراد منهم كلاريتا بيتاتشى وأخوها مرسيللو وزوجته وطفلاه .

وسار خلف هذا الركب أيضا بعض اللوريات المحملة بالجنود الألمان بقيادة الملازم برزر لحراسة الدوتشى وذلك بالرغم من احتجاجاته ، وكان ابنه فيتوريو هو آخر شخص فى هذا الركب .

وقد قرر عدد من وزراء الحكومة الجمهورية الفاشية البقاء فى ميلانو ، ولكن بعضهم قرر مرة أخرى اللحاق بموسوليني ، وكان البعض يتساءل : « الى أين هم ذاهبون ؟ » فكان ميزاسوما يجيبهم على ذلك : « الله وحده هو الذى يعرف .. ربما نتجه نحن الى حتفنا » .

الفصل الرابع عشر

الهروب من ميلانو

٢٥ - ٢٧ من أبريل ١٩٤٥

« سوف أذهب إلى الجبال بالرغم من أنه من الممكن اكتشاف مكان وجودنا إذا تتبعنا أحد الأشخاص »

- ١ -

وصل موسوليني إلى كومو في حوالى الساعة العاشرة .

وأُسرع متوجهاً إلى مكتب الحزب الفاشيستي الجمهورى وظل في انتظار بافيلونى الذى كان قد وعده باحضر ثلاثة آلاف شخص من الفاشيين لتأييده في موقفه وحربه في الجبال ، ولكن الاخبار في كومو لم تكن مشجعة ، إذ أن التليفون كان يذق كل آونة ليعلن وقوع مصيبة جديدة ، فقد سقطت جميع احياء ميلانو في أيدي العمال المسلحين ، وما زالت القوات الامريكية تتقدم بخطا ملموسة ، وكانت القوات الالمانية قد تفهقرت تماماً ، وقد منعت القوات الجمهورية من دخول ميلانو بعد أن قامت قوات لجنة التحرير القومى بسد طريقى ميلينانو وترفيلجيو ، واتصل ميزاسوما بمكاتب جريدة « كوريرى » ديللاسيرا « حيث علم أن قوات اللجان السرية قد احتلت مكاتب هذه الجريدة ولم تكن هناك أية اخبار عن بافيلونى » .

وفي الساعة العاشرة والنصف قدمت زوجة رئيس للكتب الفاشيستي العشاء لموسوليني ، ولكنه كان منصرفاً عنه ، ولا يستمع الى وزرائه وهم يتحدثون ، وكان الحشوف والرعب قد تملكا منه ، وفي الوقت الذى كان يستمع فيه الى الآراء المتضاربة من وزرائه فبعضهم كان ينصحه بالهروب الى سويسرا ، وبعضهم كان ينصحه بالتحرك الى كادينابيسا وعدم التعلق بوعود بافيلونى ، على حين أن بعضاً ثالثاً ينصحونه بالتوجه الى سوندريو . ولكنه كان يقول : « سوف أذهب الى الجبال بالرغم من انه من الممكن اكتشاف مكان وجودنا اذا تتبعنا أحد الاشخاص » .

وظهر الاستياء على موسوليني بعد ذلك حينما علم باختفاء اللورى الذى كان محملاً بالوثائق الرسمية والملفات السرية ، لذلك أرسل كل من جاتى والكولونيل كازالينوفو للبحث عن هذه السيارة وايجادها باى ثمن ، ولكن هذين الشخصين عاداً الى كومو ليخبطرا بأن هذه السيارة

قد استولى عليها وهي في طريقها الى شمال ميلانو رجال عصابات اللجان السرية ، وعندما علم موسوليني بهذا الخبر ازداد يأسه وحزنه لغداحة المصاب اذا ان هذا اللورى كان محملا أيضا بكنز دونجو وسبائك الذهب وبعض القطع الفنية والاموال التي تمتلكها الحكومة الجمهورية الفاشية والتي تصل الى عدة آلاف من الملايين من الليرات « ذكر وزير خزانة الجمهورية الفاشية فيما بعد ان المبلغ الذي كان في خزانة موسوليني ابتداء من فبراير من هذا العام نفسه كان يبلغ ٢٦٧٥ جنيها استرليني و ٢١٥٠ سقرنا انجليزيا و ١٤٩٠٠٠ دولار امريكي و ٢٧٨٠٠٠ فرنك سويسرى و ١٨٠٠٠٠ فرنك فرنسى و ١٣٠٠٠٠٠٠٠٠ ليرة ايطالية » .

- ٢ -

بعد ان انتظر موسوليني وقتا طويلا لعودة بافيلوني قرر ان يتحرك الى الشمال بجوار ساحل البحيرة في اتجاه مناجيو ، وكان الملازم برزر قد تلقى تعليمات بعدم ترك الدوتشى يسير بمفرده ، لذلك حينما علم بخروج الدوتشى متجها الى الشمال قاد عربته بسرعة ووراءه بعض الجنود باعتراض طريق موسوليني وذهب اليه وهو يحيطه النجبة العسكرية ويقول له : « سيدى الدوتشى .. يجب ألا تخرج أو تغادر المكان دون أن تكون معك حراسة خاصة » ، فنهزه موسوليني وقال له : « اتركنى بمفردى اننى اعرف ماذا أريد ، فلعتنى أسلك طريقى بمفردى وابتعد عن طريقى ولكن الملازم صمم على ضرورة مرافقة قوة للدوتشى ، وفي هذه اللحظة تقدمت قوة من الايطاليين ووقفت بين الدوتشى والملازم الالماني العنيد ، وفي الحال ظهرت مجموعة من رجال الملازم برزر الالماني ويدها على مدافعها وكرهت الايطاليين على الانسحاب ، وبذلك اضطر موسوليني أن يقبل الحراسة المفروضة عليه ، ووصل الى مناجيو وسط الاوحال والامطار حيث كانت تتبعه مجموعات من الجنود الجمهوريين المسلحين بالمدافع الميكانيكية عيار ٢٠ من الميمترات ، وقافلة أخرى من الجنود الالمان وكانت كلاريتا بيتاتشى في إحدى العربات التي تتبعه ، وطلبت من الكولونيسال كازا لينويغو أن يأخذها الى موسوليني في فيللا كاستللى .

وفي الساعات الأولى من صباح يوم ٢٧ من أبريل وصل بافيلوني في سيارة مصفحة قادمة من كومو ، وكانت السماء لا تزال تمطر حينما وصل الى فندق اليناكوتشيانى ، وأخبر موسوليني بأن ذوى القمصان السوداء في كومو قد وقعوا اتفاقية تسليم سمح قوات المنظمات السرية . ولكنه استطاع ان يعيى ، عددا قليلا من هؤلاء الاشخاص وعندما سأله موسوليني عن عدد هؤلاء الاشخاص تردد كثيرا وقال : انهم اثنا عشر شخصا ؛ وكان ذلك نهاية الامل .

وبعد ذلك مباشرة سمح موسوليني للملازم برزر بأن يقوم باعداد الترتيبات اللازمة لكي ينضم هو ورفاقه الى القافلة الالمانية التي تقهر الى الشمال متجهة الى انزبروج بقيادة الملازم فولير . وكان موسوليني يقود

بنفسه عربته الفاروميو يتبعه برزر وبافيلوني ، وكان يهدد كل ما يقف في طريقه ويزيح جميع المتاريس من الشوارع بالعربات المصفحة .

واستمرت القافلة في طريقها إلى الشمال دون أن يعترضها أى عائق لمسافة عدة أميال ، واستطاع موسوليني في هذه المسافة أن يستعيد ثقته في نفسه لذلك قال : « إننا نستطيع أن نصل إلى أعلى قمة في العالم ومعنى هاتان المائتان من الجنود الألمان » ، وحينما شاهد أحد الرجال في الطريق ناداه وسأله : هل هناك بعض قوات من المنظمات السرية في تلك المنطقة فاجابه الرجل بأن هذه القوات منتشرة في كل مكان .

وتحركت القافلة مرة أخرى بضع مئات من اليساردات ثم توقف موسوليني وخرج من عربته متجها إلى الخلف ناحية بافيلوني الذي اقترح عليه أن يستغل العربة المصفحة ، فوافق موسوليني بعد أن تشاور في الأمر مع الملازم برزر ، وشقت القافلة طريقها مرة أخرى ، وكان الهدوء يسود الطريق والكل يجلس في صمت ، وفجأة أطلقت ثلاث قذائف في الساعة السابعة من صباح اليوم التالي على مسافة ستة أميال شمال مناجيو ، ثم وضعت عدة أشجار في طريق القافلة ، وكانت البحيرة على يمين القافلة على حين كانت هناك غابة كثيفة على يسارها بالإضافة إلى حائط من الصخور العالية تعرف باسم روكاد وموسو ، ثم فتحت التيران مرة أخرى من جانب الجبال على القافلة وكانت هذه المرة من مدافع عيار ١٢ من المليمترات ، وقامت العربة المصفحة بإطلاق النيران على قوات المنظمات السرية فقتلت واحدا منهم ، وبعد لحظة ظهر علم أبيض وتحرك يعنف على قمة إحدى الأشجار الملقاة على الطريق ، وتقدم ثلاثة أشخاص أثنان منهم من بين أعضاء المنظمة السرية والثالث الماني سويسري يدعى لويجي هوفمان الذي كان يعيش على ساحل البحيرة في فيلا تملكها زوجته التي تنتمي إلى عائلة غنية من كومو وتقدم فولير وبرزر إلى هؤلاء الأشخاص للتحديث معهم واتخذوا هوفمان مترجما لهم فتحدث دافيد بربايري وهو كاتب في فرقة غاربيالدي الثانية والخمسين وقال : إنه منعا لسفك الدماء سوف يسمح للجنود الألمان بالعبور ، ولكنه لن يستطيع السماح للفاشيين بالمرور من هذا الطريق على حسب الأوامر الصادرة إليه فاحتج فولير وطلب مقابلة رئيس اللجنة المحلي فرد عليه بربايري بأن الرئيس المحلي لا يستطيع أن يمنحه مثل هذا التصريح وأنه يستطيع أن يحصل على مثل هذا التصريح من القيادة العامة في مودينو .

وكان هذا الكاتب يستغل مرور الوقت لمصلحته بعبء أن تبقى أن رجاله لن يستطيعوا الصمود أمام القوات الألمانية المسلحة تسليحا جيدا على أمل أن تأتي وحدات أخرى من المنظمات السرية لمساعدتهم . ومن ناحية أخرى لم يكن الألمان يرغبون في حرب ، بل كانوا يرغبون رغبة قوية في العودة إلى وطنهم لأن الحرب قد انتهت بالنسبة لهم في إيطاليا .

وعندما تقدم أحد القساوسة لسؤال القائد الألماني عن الإيطاليين الذين معهم ، أجاب بأنه لا يوجد معهم أي إيطالي ، ولكن أحد الأشخاص همس في أذنه بأن هناك إيطاليين ، لذلك يجب تفتيش اللوريات وبعد

هذا توجه القسيس الى الجبال متجها الى مركز القيادة المحلى للمنظمة وأخبرهم بما حدث ، ولكنهم أخبروه بأنهم لا يستطيعون التصرف في شيء الى أن تصلهم تعليمات أخرى من موريينو .

وفي الساعة الثانية غادر فولير متجها الى موريينو حيث استمر الى الساعة الثانية ثم عاد مرة أخرى الى مومو ، وكانت القوات الإيطالية المشتركة في هذه القافلة قد بدأت تتنمر وتزداد تحفزا ، على حين اقترح بافيلوني أن تقوم القوات بشق طريقها بقوة السلاح ، واقترح آخرون العودة والبحث عن طريق آخر ، ثم تقرر بعد ذلك أن تنتظر القوات عودة فولير . وقد حاول بريابيري أن يكتشف احتمال أن موسوليني في القافلة ولكن رومانو أخبره بأنه كان معهم ميتاجيو ثم اختفى بعد ذلك .

وكان موسوليني في هذا الوقت يجلس في العربة المصفحة يقرأ بعض الوثائق ويستمع الى بعض اذاعات من جهاز لاسلكي صغير داخل العربة وكان يتحدث في الوقت نفسه مع كلاريتا بصوت منخفض وفي تلك اللحظة وصل فولير الى العربة المصفحة وأخبره بأنه لم يستطع أن يتفق على مرور الإيطاليين وكل ما استطاع أن يحصل عليه هو السماح بمرور جميع اللوريات الألمانية بشرط تفتيشها في دونجو بحثا عن الفاشيين المختبئين .

وفي هذه اللحظة اقترح برزور على موسوليني أن يرتدى معطفا ألمانيا ويستقل إحدى سيارات النقل الخلفية ، ولكن الدوتشي رفض أنه يتحرك بالرغم من محاولة كلاريتا الضغط عليه لاتخاذ حياته ، فقد كان يعتقد أن برزور قد اتفق مع قوات العصابات على تسليمه اليهم مقابل مرورهم الى ألمانيا وأخيرا رضخ الدوتشي بعد أن أقنعه فولير وذكره أنه يحميه .

ثم ذهب برزور لعزل الألمان عن الإيطاليين ، وعندما عاد وجد موسوليني ما زال في مكانه في العربة المصفحة وكلاريتا بيتاتشي تبكي بمرارة ، ووجه كلامه الى فولير قائلا انه ما لم تفرض الحماية على وزرائه فإنه يرفض أن يتحرك ، فرد عليه قائلا : أن ذلك ضرب من ضروب المستحيل لانه قد وقع اتفاقية بالشروط التي تنص على وجوب ترك الإيطاليين داخل الحدود الإيطالية ، وتسمم موسوليني في مكانه ولم يتحرك قيد أنملة ، ولكن عندما ذهب برزور لاحتضار أنلوري الذي سوف يركب فيه موسوليني التف حوله كل اتباعه للضغط عليه لقبول هذا العرض لأن هذه كانت فرصته الوحيدة للنجاة ، فاضطر الى الخضوع لهذه الآراء وأرتدى ملابس جندي ألماني ومعطفه ثم صعد الى اللوزي الذي اتجه الى دونجو مع بقية القافلة الألمانية .

وبهذا الشكل ذهب موسوليني بمفرده مع القوات الألمانية ، وكانت قوات المنظمات السرية قد علمت بوجوده في هذه القافلة عن طريق أحد راكبي الدراجات ، وعن طريق الدون مينيتي ، لذلك انتظرت في ميدان دونجو .

الفصل الخامس عشر

الاعتقال

٢٧ من أبريل ١٩٤٥

« لم أعد أرغب قط في رؤية أى زى رسمى المانى »

- ١ -

كانت الساعة قد بلغت الثالثة حينما كانت القافلة تشق طريقها داخل دونجو ، وكان الإيطالي الوحيد الذي يرافق هذه القافلة هو مارسيلو لوبيتاتشي ، لأنه كان يجلس في عربة عليها رقم دبلوماسي وترفع العلم الأسباني على جانبها وفي الوقت نفسه الذي ابتعدت فيه القوات الألمانية عن الوزراء والرسميين الإيطاليين الفاشيين ، قامت قوات العصابات بالالتفاف حولهم واعتقالهم ، ولم يقاوم هذه الحملة سوى الذين كانوا يجلسون في العربة المصفحة ، واستمرت الحرب قائمة بين العربة المصفحة ورجال العصابات فترة غير قصيرة إلى أن اضطر من بداخل هذه العربة أن يرفع علما أبيض ، وفي هذه اللحظة قفز بافيلوني من العربة المصفحة وأخذ يعدو تجاه البحيرة وهو ينادي الآخرين بأن يتبعوه ، وألقى بنفسه هو وكارادولي واختفيا في الماء لفترة ساعة تحت بضعة ألواح من الخشب ، ولكن أمكن اكتشافهما بعد هذه الساعة وتم سحبهما من الماء ونقلهما إلى دونجو التي كان موسوليني قد وصل إليها من قبل .

وأخذت قوات العصابات في تفتيش السيارات واحدة بعد أخرى إلى أن وصلت إلى السيارة التي يجلس فيها موسوليني ، فوجدت السائق وجواره جاويش المانى يضع خوذة على رأسه ويصدر شخرا عاليا وتفوح من فمه رائحة الحمر ، فأخذ ضابط من هذه القوات السرية بهزه بعنف وطلب منه أن ينزل من العربة ثم أزاح الخوذة من فوق رأسه ودقق فيه النظر وقال له : « ألسنت إيطاليا ؟ » فأجابه موسوليني بعظمة وفخريته إيطالي ، فعرفه لازارو على الفور ؛ وهو أحد زعماء المنظمة السرية وتحدث موسوليني إلى الجنود الألمان فطلب منهم المخاطرة بأرواحهم في محاولة فاشلة ولم يحاول موسوليني أن يستخدم المدفع الرشاش الذي كان يحمله وإنما قفز من العربة بمساعدة لازارو وسلم سلاحه إليه ، وكان الشعب قد تجمع في هذا الميدان وبدأ يصيح عندما عرف شخصية النوتشي ، ثم قام أحد جنود اللجنة السرية بتفتيش موسوليني فوجد معه مسدسا معبأ ، ولم يحتج موسوليني على هذا الإجراء ؛ ولكن عندما حاول أحد

الجنود أن ينزع منه الحقيقتين اللتين تمثلتان بالاوراق والوثائق السرية الخطيرة صاح فيه موسوليني قائلا « حذار ٠٠ انهما تمثلتان ٠٠٠ بالوثائق السرية ذات الاهمية الكبرى بالنسبة لتاريخ ايطاليا ومستقبلها ، لذلك تجب المحافظة عليهما » .

ثم بدأ موسوليني يتحرك الى غرفة عمدة المدينة وهو يتعثر في مشيته ، وكانت المدينة على منحدرات سفح جبل برجنانو ، وكانت الرجة قد بدأت تسري في جسد موسوليني فاضطر لازارو الى أن يعطسه قائلا : « اهدأ نفساً فلن تمس بسوء » . وفي الوقت نفسه وجه اليه العمدة الدكتور جوسبي روبيني الكلام قائلا : « لا تقلق بالا فسوف تكون في مأمن هنا » . فرد عليه موسوليني بطريقة آلية قائلا : « اننى أعرف ذلك لان سكان هذه البحيرة طيبو القلب » .

ثم سمح لموسوليني بالجلوس وأحاط به عدد من جنود اللجنة السرية وبعض الشعب وبدوا يمحرونه بالاستئلة على حين أنه يحاول أن يتهرب منها أو يجيب عنها بطرق ملتوية ، فمثلا وجهت اليه الاستئلة التالية :

— لماذا خنت للاشتراكية ؟

— اننى لم أخنها ولكن الاشتراكية هى التى خانت نفسها .

— لماذا اغتلت ماتيووتى ؟

— اننى لم أكن أعرف شيئا عن هذا الموضوع ؛ وعندما علمت به اتخذت اجراءات سريعة ضد من ارتكبه .

— لماذا طعنت فرنسا من الخلف ؟

— لكى أحاول أن أشرح لكم الاسباب التى دفعت ايطاليا الى دخول الحرب يستغرق ذلك وقتا طويلا منى .

— هل أنت الذى ألقى خطابك فى جرانساسو بمحض ارادتك أو أنك قد أكرهت على ذلك ؟

— لقد أجبرت على القاء هذا الخطاب .

— لماذا اتخذت اجراءات عنيفة ضد قوات المنظمة السرية ؟ لقد قتل كثير منهم ، ألا تعرف ذلك ؟

— أن يدى كانتا مغلولتين ، فلم أكن أستطيع فى ذلك الوقت أن اعترض على كل مايفعله كل من كيسلرنج وولف ، وكنت دائما أتحدث مع الجنرال وولف وأذكره بالقصص التى تصلنى عن العمليات الوحشية التى ترتكب ضد الشعب الايطالى بمختلف اتجاهاته وفئاته ، وكان وولف يرد على قائلا : ان هذه هى الوسيلة الوحيدة لاستخراج الحقيقة حتى الاموات أنفسهم يمكن أن يقولوا الحقيقة فى غرفة التعذيب

وكانت الاستئلة تنهمر عليه بلا توقف ، الأمر الذى جعل حلقه يجف ويطلب جرعة من الماء ، فأحضروا له كوبا من الماء وفنجانا من القهوة شربهما

وجلس بعد ذلك صامتا ، ثم وقف ونزع عنه المعطف الالمانى والقاه أرضا ووقف عارى الرأس وهو مرتد ملابس المليشيا الفاشية .

أما فى الخارج فقد سمح للقافلة الالمانية باستمرارها فى طريقها الى الشمال على حين قام رئيس مركز اللجنة السرية فى دونجو بارمسال برقية الى كومر يعلن فيها القبض على موسولينى ، ويطلب من لجنة التحرير القومى المحلية ان تخبره عن الطريق الذى يجب أن يسلكه .

- ٢ -

كانت الساعة قد وصلت الثالثة والنصف حينما قرر الكونت بيلروليجى بلينى دلى ستلى قائد المنظمة السرية فى دونجو أن يقوم باخفاء سجينيه الهام فى مكان أمين متعا لاية محاولة لانقاذه ، ثم عاد فى الساعة السابعة وصمم على نقله الى معسكرات حرس الحدود فى جيرماسينو ، وكان المطر يتساقط بغزارة فى هذا الوقت وأصبح الجو يميل الى البرودة ، لذلك سأل احد الجنود التابعين للمنظمة السرية موسولينى هل يرغب فى ارتداء المعطف الالمانى ؟ فرفض موسولينى قائلا : لم أعد أرغب قط فى رؤية أى زى رسمى ألمانى .

وحيثما صعد الى السيارة التى أقلته الى جيرماسينو ، كان يرتعد من البرد . وبدأت السيارة تسير ببطء لان السائق لم يكن يشاهد الطريق بوضوح ، ثم وجه أحد المرافقين له حديثه قائلا : « اعتقد أن هذه المرة الثانية التى تؤسر فيها ، فرد عليه موسولينى وعلى فيه ابتسامة المرح للفتعل قائلا : « هذه هى الحياة يابنى ، وهذا هو مصيرى من الوحل الى السلطة ومن السلطة أعود مرة أخرى الى الوحل » .

وبدا موسولينى يستعيد بعض حيويته المفقودة ، ويعزى نفسه بفكرة الاستشهاد وعندما وصل جيرماسينو كانت وجبة الغداء قد أعدت له ، وقدمت اليه ورقة لكتابتها بخط يده والاعتراف فيها بحسن المعاملة التى يلاقها بعد القبض عليه ، وفى الساعة الحادية عشرة مساء شعر بالتعب فطلب أن يذهب الى النوم .

وتعود مرة أخرى الى دونجو لنجد أن الكونت بيللينى قد وجد كلاريتا بيتاتشى فى غرفة فى فندق « تاون هول » حيث أغلقت على نفسها هذه الحجرة وادعت بأنها اسبانية الجنسية بالرغم من عدم وجود جواز سفر يثبت ذلك ، وكانت مصممة على أنها شقيقة السفير الاسباني لدى الجمهورية الايطالية لدرجة انها كانت تذهب الى فتيات القرى وتسألهن عما ينتظر أن يرتكب مع كلاريتا بيتاتشى اذا قبض عليها رجال اللجنة السرية .

وعندما اخبرها الكونت بيللينى أن موسولينى أصبح سجيناً أنكرت تماما أنها تعرفه أو أنها التقت به من قبل ، ولكن بيللينى أخبرها بأنه يعرف من هى ، وأنه قد اكتشف أن السفير الاسباني هو نفسه شقيقها مارسيللو فانهارت على الفور واستفسرت عن صحة موسولينى. وعن حاله فى سجنه فطمأنها وقال . انه فى أمان ثم نظرت اليه نظرة خاصة وسألته

هل هو صديق أو عدو ؟ فاجابها : انه عدو فانفعلت على الفور وصاحت تقول : « اننى اعرف انكم جميعكم تكرهوننى وانكم كنتم تظنون اننى كنت اذهب وراهم من اجل ماله وسلطانة ! ولكن هذا ليس حقيقيا لان حبي كان صادقا له خاليا من الاتانية ٠٠٠ لقد ضحيت كثيرا من اجله وحاولت ان اكون مصاحبة له » ثم تحولت ابيه تستعطفه وتسأله ان يفعل معها معروفا وهو ان يضعها فى الحجره التى يقيم فيها نفسها موسوليني واكدت له انها ترغب ان تشاركه فى مصيره نفسه حتى لو كان الموت .

وقد فوجئ بذلك الكونت بيلليني واخذ يحلق فيها النظر فى ذهول ثم ترك الحجره دون ان يجيبها على طلبها .

- ٣ -

فى المساء نقل موسوليني الى جيرماسينو حيث استقبله صديق له وهو الجنرال كادورنا ، وبصحبته الكولونيل بارون جيوفانى - سردانا الذى عين قائدا للجنة التحرير القومى فى كومو ، وكان سردانا قد اتصل بالجنرال كادورنا واخبره بالقبض على موسوليني فى دونجو ، وطلب منه تعليمات عما يمكن ان يفعله مع موسوليني وكان سردانا قد تلقى تعليمات من مدير مكتب كادورنا تأمره بنقل موسوليني الى ميلانو لذلك ذكر سردانا ان هناك استحالة تامة وصعوبة مطلقة فى نقل موسوليني الى ميلانو ، اذ انه لايمكن الثقة بالرجال الذين سيراقدونه ونظرا لهذه الخطورة فقد تقرر نقل موسوليني من جيرماسينو الى قرية بلفيو وهى على مسافة سبعة كيلو مترات شمال كومو حيث يمتلك أحد اصدقاء البارون سردانا الاغنياء ويدعى ريمو كاديماورى فيلا منعزلة مقابلة للبحيرة ووافق ريمو على طلب سردانا وذهب لانتظاره بعد ان شاعر ان السجين الذى سوف ينتقل ليس سوى موسوليني .

- ٤ -

ارسل امر نقل موسوليني من جيرماسينو الى فيلا كاديماورى فى بلفيو الى الكونت بيلليني فى حوالى الساعة الحادية عشرة والنصف ؛ وبعد ساعتين تم نقل موسوليني فى عربة الثقث بالقرب من بوننى ديلافولك الى جسر فولك بعريه اخرى كانت تقل كلاريتا بيتاتشى ، فخرج موسوليني الى كلاريتا وحيا كل منهما الاخر بطريقة رسمية وغامضة :

- مساء الخير يا سعادة النوتشى .

- انت يا ستيورا ٠٠٩٠٠ لماذا انت هنا ؟

- لقد اخترت ان اكون بجوارك دائما .

وكان هنا هو كل مادار من حديث بينهما ، اذ اندفعت السيارات بعد ذلك فى طريقها الى ملتازازيو : وكان موسوليني يجلس صامتا وهادئا وهو جالس فى عربته التى اخترقت ملتازازيو . وبعد ان ابتعدت السيارة عن ملتازازيو بمسافة سبعة كيلو مترات الى الجنوب ؛ كان موسوليني يظفر فوق كومو وكان يرى بوضوح القتال الذى يدور فى الشوارع ،

والتقدم الكبير الذى أحدثته القوات الامريكية فى سهل لومباردى ، ونقل
السجينان الى ازانو ، وكان موسولينى قد انهار كلية لدرجة انه لم يكن
يقدر على الوقوف أو التحرك على جين كانت كلاريتا تساعده على الوقوف
وتسندة خوفا من الوقوع على الأرض . وكان فى انتظار السجينين شخص
يدعى كانالى الذى قادهما الى منزل ديمارياس . وأطلق اشبارة صوتية
تشبه اصوات الحيوانات لتنبيه أصحاب الدار : فخرج جياكومو ديماريا
ووقف على باب منزله ومعه زوجته وفى يده لمبة زيتية ، وحينما وصل
موسولينى افسحا له الطريق وخلفه كلاريتا وكانالى وتحدث كانالى الى
صاحب الدار قائلا : « انهما سجينان فعاملهما أحسن معاملة ودعهما
ليناما ثم أمر اثنين من الصيادين وهما كانتونى وفرانجى بالقيام بحراسة
السجينين » .

وقام جياكومو ديماريا باشعال النار فى المدفأة وقدم بعض المأكولات
الى السجينين ، ولم يكن يعرف من هما ؛ ثم وجه كلامه الى موسولينى
قائلا : ماذا تطلب أبها السيد ؟ فرد عليه موسولينى بأنه لا يرغب فى
شيء ولكن كلاريتا طلبت بعض القهوة . وبعد فترة جاءت زوجة ديماريا
وأعلنت أن مكان النوم معد فى أعلى ولكن موسولينى لم يتحرك وظل
ساكنا فى مكانه ، فربت كلاريتا على كتفه وطلبت منه أن يذهب معا الى
أعلى ، فوقف موسولينى وتبعها وتبع زوجة ديماريا على الفور وعندما
جلس على حافة السرير بدأ ينزع الاربطة التى لفها على رأسه وكانت من
الموسولين الأبيض ، وأخذت السنيورا ديماريا بغسل هذا الرباط وتدقق
نظرها فى وجه موسولينى الذى بدأ يبدو مألوفا لديها . وطلبت كلاريتا
من سنيورا ديماريا أن تذهب معها لتغتسل ، فرافقتها الى أسفل حيث
أغتسلت ثم صعدت ، الى أعلى ورقدت بجوار موسولينى بعد أن نزعته كل
ملابسها وكان الحارسان كانتونى وفرانجى يرهقان السمع الى ماقد يدور
بينهما من حديث ، ولكنهما لم يستطيعا أن يتبينوا أى كلام ، وكانا يعتقدان
أن هذين السجينين أما أن يكونا بافيلونى أو جرازبانى مع زوجته ، ولم
يستطع هذان الحارسان ان يصمعا طويلا امام هذا السرير فاندفعا الى
الحجرة فسحبت كلاريتا غطاء السرير والتفت به على حين صاح موسولينى
فيهما قائلا : اذهبا بعيدا .. ويجب الا تسلكا هذا المسلك مرة أخرى
فتركا الحجرة وجلسا فى مكانهما السابق وظلا فى يقةظتهما مترصدين
لأية حركة فى الحجرة وفى الفجر اضطرا أن يناما .

وفى الساعة الحادية عشرة صباحا خرجت السنيورا ديماريا الى
الحقول ، وكان الجو قد بدأ يتحسن وهبت ريح خفيفة ولطيفة من الجنوب
والتفت الى نافذة المنزل ، فوجدت الدوتشى يميل على النافذة وينظر الى
الجبال التى تغطيها الثلوج فيما وراء بحيرة ليكو وفى الوقت نفسه ذهب
زوجها الى أعلى لسؤال السجينين هل يرغبان فى تناول أى نوع من
الطعام ؟ فوافقا على بعض من اللبن والخبز ، وكان الانهاك التام يبدو على
موسولينى ، إذ أن عينيه قد تكورتا بالأحمر وأصبح وجهه أبيض يميل الى
الصفرة يحاكى وجوه الموتى ، وعندما انتهت كلاريتا من تناول طعامها

ذهبت مرة أخرى الى السرير واستلقت عليه ؛ على حين كان موسولينى
يمضغ فئات الخبز بصعوبة ، وسحبت كلاريتا غطاء السرير عليها حتى
عيניה وأسبلت عيناها ونامت بالرغم من أنه كان يبدو عليها عدم النوم ،
ثم جلس موسولينى على حافة السرير وظهره لها وهو ينظر خلال النافذة
الى الجبال الممتدة حتى نهاية الافق .

الفصل السادس عشر

الكولونيل فاليريو

٢٨/٢٧ من ابريل ١٩٤٥

« بالرغم من أن قتل الانسان لاختيه الانسان عمل يتعارض مع معتقداتي فانى قد وجدت أن العنف يأتى من أسفل ردا على العنف الذى يأتى من أعلى ، بالرغم من أنه يحدث بطريقة مؤسفة. وغير ضرورية . عندما تسد جميع الطرق فمن الضرورى شق أى ممر حتى لو كان على حساب الدماء » .

عندما علمت لجنة التحرر القومى لشمالي ايطاليا وهيئة المتطوعين الاحرار بخبر القبض على موسوليني اجتمعوا على الفور فى ميلانو ، ولكن التقارير التى وردت بعد ذلك ظلت متضاربة حول القرارات النهائية التى اتخذت . وكل ما يمكن معرفته هو أن هذه اللجنة قد قررت ايفاد ولتر اوديسيو لاحتضار موسوليني الى ميلانو ، ثم أجريت بعض المناقشات الخاصة بعد هذا القرار كان من بينها احضار موسوليني ميتا الى ميلانو ، وكان بالميرتولياتي وهو أحد الزعماء الشيوعيين فى ميلانو قد أصدر أمره بالفعل باعدام موسوليني وكان هذا الامر يتضمن اطلاق النار فورا على كل من موسوليني ووزرائه اذا تم القبض عليهم ولم تكن لجنة التحرر القومى تعلم شيئا عن نية الشيوعيين لانها كانت قد صممت على تسليم موسوليني الى الحلفاء .

وقد حاولت كل القوات الأمريكية والحكومة الايطالية المعادية للفاشية فى الجنوب البحث عن موسوليني وايجاده قبل اعدامه على أيدي الشيوعيين كما كانت لجنة التحرر القومى تبذل أقصى مجهود لها فى العثور عليه لتقديمه للحلفاء ، لذلك عندما علمت اللجنة المركزية فى ميلانو بالقبض عليه ، أرسلت برقية الى مركز قيادة الحلفاء فى سيبينا ، وكانت البرقية تقول : « ان لجنة التحرر القومى بالرغم من تمهدها بتسليم موسوليني اليكم قد قررت تقديمه للمحاكمة الشعبية واعدامه فى المكان الذى أعدم فيه خمسة عشر مواطنا مخلصا من المعادين للفاشية » .

وبعد مرور ساعة قدم الجنرال كاردونا تصريحاً الى اوديسيو للبحث عن موسوليني ، وكان هذا التصريح مكتوباً باللغة الانجليزية وينص على ما يلى :

ان الكولونيل فاليريو الذى عرف من قبل باسم مانولى جيوفانى باتيستا دى سيزار ، ضابط ايطالى منتم الى القيادة العامة لقوات المتطوعين

الاحرار ، وقد أرسلته لجنة التحرير القومي في شمالي إيطاليا الى كومو وضواحيها ، لذلك يجب منحه حرية التنقل مع الضباط المرافق له المندوب عن الجيش الأمريكى الكابتن ١٠ ك « داداريو » ، وقد تسليح اوديسيو وفاليريو ومرافقهما بمدافع ستنزوبرتا ، ووصلوا كومو في الساعة الثامنة من مساء يوم ٢٨ من ابريل ، ولكن بعض الاشخاص اعترضوا طريقهم وطلبوا ابراز تصاريح مرورهم ، ثم سمح لهم بالدخول الى اللجنة الفرعية للتحرير القومي ؛ وطلوا في نقاش مع أعضاء اللجنة حول تسليم موسوليني اليهم ، ولكنهم فشلوا في الوصول الى نتيجة ، فاضطر اوديسيو للاتصال بميلانو لتلقى التعليمات واخطارها بما حدث وفي الوقت الذي كان فيه اوديسيو يتحدث بالتليفون انسحب مرافقاه الكولونيل الدولامبردى ، وريكاردو مورديني وذهبا الى دونجسو دون اخطاره أو ترك رسالة له ، وفي هذا الوقت نفسه تمكن اوديسيو من الوصول الى اتفاق مع اللجنة الفرعية يتم بمقتضاه تسليم جميع الفاشيين لهم بشرط مصاحبة مندوبين من لجنة التحرير القومي في كومو له ، ولكن اوديسيو استطاع أن يتخلص من مندوبى لجنة كومو وهو في طريقه الى دونجو ؛ غير أن لجنة دونجو اشتبهت في أمره وأطلقت عليه النار هو وصاحبه الفاشيين ، فاضطر أن يصيح بأعلى صوته الى انه مرسل من قبل اللجنة المركزية للتحرير القومي ، ثم سار الى حجرة القيادة ووجد فيها الكونت بيلليني وبجانبه زميله الدولامبردى ، وقامت مناقشات باردة بينهم انتهت بابرار الكونت بيلليني ورقة صفراء موقعة من عضو واحد من أعضاء لجنة التحرير القومي في شمالي إيطاليا وقد كتب عليها : « تم تحويل السلطة للكولونيل فاليريو لاحضار مجرم الحرب • بنيتسو موسوليني الى ميلانو » .

لذلك اضطر اوديسيو الى كشف حقيقة مهمته أمام هذه اللجنة الفرعية ، فاعلن انه قد حضر لاعدام موسوليني ومرافقيه من الفاشيين ونقل جثة موسوليني الى ميلانو ، ولكن الكونت بيلليني لم يحاول أن يتفهم هذه الخطة ورفضها من أساسها .

وفي الصباح أعد خطة لنقل جميع الاسرى الفاشيين وفيهم موسوليني وكان الكونت بيلليني يحاول أن يكتسب الوقت من جداله مع اوديسيو وزملائه وهو الجنرال الذي استمر حتى الساعة الثالثة من مساء يوم ٢٨ من ابريل ، ثم اقترح في نهاية المناقشة أن يتركوا الاجتماع ويذهبوا الى جيرماسينو لاحضار موسوليني والاسرى الفاشيين ، وذكر بيلليني أن اللذين يعرفان مكان هؤلاء الاسرى هما مايكل موريتي ، ولويجي كنانى اللذان غادرا دونجو .

غير أن كلا من موريتي وكنالى كانا في المدينة نفسها والقاعة نفسها لانهما كانا من الشيوعيين المتعصبين ، وكان موريتي يعرف تماما الكولونيل الدولامبردى .

وفي خلال عشر دقائق من خروج الكونت بيلليني غادر كل من اوديسيو ولامبردي دونجو على الفور وكان يرفقتهما مايكل بريتي .

الفصل السابع عشر

مصرع موسوليني في هيللا بلهونت

٢٨ أبريل ١٩٤٥

« لا يمكن أى انسان أن يتحدى القدر مرتين ، وكل انسان يموت
الموتة التى تتناسب مع طباعه وأخلاقه .. »

- ١ -

قطعت أصوات الاقدام العنيفة المندفعة فى ساحة منزل ديمازيا الصمت
الذى ساد حجرة النوم فى الساعة الرابعة بعد الظهر ، فقد دخل المنزل
رجل طويل القامة أسمر اللون وارتقى درجات السلم ، ودفع باب حجرة
النوم التى يقيم فيها موسوليني وصديقه كلاريتا ، فتطلع بقدمه بعنف
ثم اندفع الى الداخل وهو يصيح : أسرها : أسرها : أسرها ! فقال : أحقا تقول ؟
الى موسوليني بشيء من السخرية والتعجب وقال : أحقا تقول ؟
انى أشكرك . كم أنت طيب القلب ! ، وكان هذا الرجل نفسه هو
أوديسيو ، الذى سأل موسوليني قائلا : هل معك سلاح ؟ فاجابه
موسوليني بالنفى ، ثم تحول موسوليني الى كلاريتا وكانت لا تزال
مستقلية على السرير ووجهها تجاه الحائط ونظر اليها فى الوقت الذى طلب
منها أوديسيو أن تسرع بارتداء ملابسها ، فقامت مهرولة وأخذت تجمع
حاجاتها ثم أخذت تبحث عن شيء نسائها أوديسيو بغضب : عم تبحثين ؟
فاجابته بأنها تبحث عن شيء من أدوات التواليت ، فقال لها : ليس أمامنا
وقت ، هيا أسرعى ، وأرتدى موسوليني الجاكت الرمادى لتكملة زى
الماليشيا الفاشيستى ، ثم وجه موسوليني الى أوديسيو سؤالا عن أخبار
ابنه فيتوريو فطمأنه أوديسيو بأنه قد أنقذ أيضا ، ولما سأل عن زريندو
وميزأسوما أجاب بأنهم يبحثون عنهما فاستراح موسوليني وتنهى بارتياح
ثم طلب أوديسيو من موسوليني وكلاريتا أن يسرها على الفور فى
الخروج من البيت .

ولم تكن كلاريتا تصرخ هذه المرة أو تبكى بل كانت عينها محجرتين
وخداها منتفخين ، وكانت تتعلق فى ذراع موسوليني نظرا لانها كانت
تنتعل حذاء ذا كعب عال وتسير فى طريق غير ممهّد وتعمل على كنفها
حقيبتين صغيرتين ومعظفين أحدهما من وبر الجمل والاخر من الفراء وفى
أثناء السير تعثر موسوليني فسقط على الارض وحاولت كلاريتا أن تساعد
ولكنه نهزها وزحف على ركبتيه ثم وقف .

وطلا يخترقان القرية ويشاهدان النساء وهن يضربن بملايسهن على الحجارة ، ثم مرا تحت قبر في اتجاه طريق مههد حيث كانت تقف العربية في انتظارهما وكانت السنيورا روزيتا وبريتا تسير مع كليبيها عندما توجهتا الى العربية للتحديث الى سائقها الذي كان يدعى جيمينازا . وكان هذا السائق في حالة عصبية غير طبيعية ولا يرغب في الكلام ، وأمرها أن تسير في طريقها لان بعض الناس الذين تعرفهم تماما سوف يحضرون في الحال وعليها أن تنسأهم فاذا لم تفعل ذلك فانها قد تفقد ذاكرتها أو حياتها أيضا .

وعندما تركته سنيورا وبريتا شاهدت بعض الناس يسلكون الطريق في اتجاهها ، كان من بينهم رجل نهرها قائلا : « اذهبى في طريقك » لذلك ابتعدت عنهم ، وكانت قد شاهدت امرأة يتعلق بذراعها رجل عجوز وكان يدفعه الى داخل العربية الرجل الطويل الذى نهرها ، فاستقلا السيارة التى مرت أمام السنيورا وبريتا مرة أخرى وشاهدت الرجل العجوز وعرفت فيه موسولينى ، وكان بجواره كلاريتا والسائق على حين وقف اوديسيو ورجال الحرس على حافتي السيارة ، وحينما تحركت السيارة بهدوء فى اتجاه الهضبة تبعها الصيادان كانتونى وفرانجى ، وكان السائق جيمينازا يراهما فى المرأة ويرى أيضا موسولينى وكلاريتا وهما جالسان ملتصقان كل بالآخر ، واستمرت العربية فى سيرها حتى وصلت الى بوابة فيلا بلمونت .

- ٢ -

كانت فيلا بلمونت على صخرة عالية ويقم فيها عائلتان هما برناردوبيليني المهندس وزوجته تريزا ، وريئالدواوبزى وزوجته وطفلتان صغيرتان هما ليليا وبيانكا . وعندما وصلت عربية اوديسيو أمام الفيلا كانت السنيورا بيليني تجلس فى حديقة الفيلا ونظرها متجهة الى البحيرة ، على حين كان زوجها يجلس فى الداخل مع رينالدو اوبزى يستمعان الى الراديو ، وكانت تريزا بيليني هى أول من رأى اوديسيو وهو يخرج من العربية ، وكان يبدو وكأنه من رجال الجبال .

وفى الحال أمر اوديسيو كلاريتا أن تتبع موسولينى خارج العربية وكان السائق يقف بعيدا وهو يحمل على كتفه مدفعا ميكانيكا ؛ وفى الوقت نفسه رفع اوديسيو مدفعه فى اتجاه موسولينى وكلاريتا وتحدث بضغ كلمات سريعة فهم السائق منها أن اوديسيو قد تلقى أمرا باعدام موسولينى وصديقه ، وكان موسولينى يقف جامدا بلا حركة او انفعال ؛ على حين فقدت كلاريتا السيطرة على نفسها واحاطت رقبته بذراعها وأخلت قفزه فى الهواء وتصبح قائلة : « لا .. لا .. يجب ألا تفعلوا ذلك .. » وكان صوتها يبدو جافا وعصبيا ، فنهرها الكولونيل اوديسيو وقال لها : « اتركيه وشأنه وألا فسوف يصيبك الرصاص أيضا » . ولكن كلاريتا لم تمره أى اهتمام بل أخذت فى قفزها الجنونى لمحاولة منع اوديسيو من اغتيال موسولينى ، وفى هذا اللحظة سحب اوديسيو مسدسه ووجهه

الى موسولينى فاندفعت اليه كلاريتا وسدت فوهه المسدس براحتيها
وصاحت : انك لاتستطيع ان تقتلنا هكذا .

فصاح اوديسيوى فى موريتى ان يحضر اليه المدفع الرشاش ، وفى
هذه اللحظة كشف موسولينى عن صدره وصاح قائلا : اطلق النار فى
صدرى ، وكانت هذه هى آخر كلمات نطق بها موسولينى بوضوح .

- ٣ -

اطلق اوديسيوى اول طلقة من مدفع موريتى على كلاريتا فصرعتها فى
الحال وسقطت دون ان يصدر منها أى صوت ، ثم اطلق الطلقة الثانية على
موسولينى فسقطت جثته على الأرض والتوت رجلاه تحته ، ولكنه لم يمت
وظل تنفسه مستمرا ، فذهب اليه اوديسيوى ليتيقن موته فوجده ينظر
اليه بعينين مملوءتين بالعتاب وفمه عليه ابتسامة السخرية وهو يتمتم
ببعض كلمات غامضة غير مسسوعة ، فجئن جنونه واخذ اوديسيوى يطلق
النار على صدر موسولينى ، واخذ موسولينى يهتز بعنف ثم سقط على
وجهه وقد انتهى تماما . وكان سكان الفيللا قد سمعوا طلقات النار
وعدوها فوجدوها عشر طلقات ، ولكنهم لم يستطيعوا أن يشاهدوا
ما يحدث هناك نظرا لارتفاع سور الفيللا .

وحينما انتهى اوديسيوى من عملية الاغتيال ، أمر الصيادين بحراسة
الجثتين وكانت الساعة قد بلغت الرابعة والثلث ، واستقل اوديسيوى
السيارة ومعه مايكل موريتى متجها الى دونجو . وفى الساعة السادسة
عاد جيمانياسو من دونجو حيث شاهد هو واوديسيوى عملية اعدام خمسة
عشر رجلا من الفاشيين اعتقلوا فى موسو . هم : مارسيللو بيتاتشى ،
فرناندوميزا سوما ، نيكولا مباتشى ، اليسندر وبافيلونى ، باولو ، زربينو
وزير الداخلية ، ريجيرو رومانو وزير الأشغال العامة ، اوجستو ليفيرانى
وزير المواصلات ، بادلو بورتا مفتش الحزب الفاشيىستى فى لومباردى ،
لويجى جاتى سكرتير موسولينى الخاص الفريدو كوبولو رئيس معهد
الثقافة الفاشية ، ارنستو داكوما مدير وكالة شتيفانى مارينودى رئيس
المنظمة الزراعية الفاشية ، الكولونيل فيتوكازلينوفو ، بيتى وسالوسترى
أحد ضباط القوات الجوية ، هنتريو وهو من رجال الدعاية الفاشية .
وتم وضع جثة موسولينى وكلاريتا فى مؤخرة السيارة التى سارت
وسط الأمطار فى طريقها الى ازانو .

الفصل الثامن عشر

بيازيلي لوريتو

٢٩ من ابريل سنة ١٩٤٥

• هذه هي اللوحة التي أرغب أن تعلق
على قبري : هنا يرقد أذكى حيوان ظهر على
وجه البسيطة •

في الصباح الباكر من يوم ٢٩ من ابريل ١٩٤٥ مرت العربة التي
تحمل الجثث بعدة نقط مراقبة أمريكية قبل أن تصل الى جراج في بيازيلي
لوريتو ، حيث كان قد أعدم الألمان خمسة عشر رهينا منذ تسعة أشهر ،
وكان ذلك في يوم الأحد • وظلت الجثث ملقاة في فوضى حتى الفجر
حينما قام أحد المارة المجهولين بترتيبهما ووضعهما في نظام ، ووضع
موسوليني بعيداً عن بقية الجثث ، وكان رأسه على صدر كلاريتا وكنتفيها •
وجاء شابان وأخذوا يضربان رأس موسوليني بأقدامهما دون رحمة أو
هوادة ولم يتركاها الا وقد تشوه وجهه تماما ، فقد انفتح فمه وتحطمت
أسنانه وتحطمت عظام فكه الأسفل ، وكان يبدو كأنه يتأهب للكلام ،
وقام آخر بوضع عصا في يد موسوليني وحطم أصابعه حولها •

وفي الساعة التاسعة صباحا اجتمع جمهور كبير وأخذ يصيح ويقفز
في الهواء ويقترب من جثة موسوليني وصديقه وهم يصبون عليهما
اللعنات والبصقات ، ويطلقون الرصاص على جسديهما لدرجة انهم
لم يتركوا قطعة في جسديهما بدون ثقب وذلك دون أن تبدو في نظرتهم
رحمة أو شفقة ، وكان من بين هؤلاء الذين أطلقوا النيران على موسوليني
وهو جثة هامدة امرأة أطلقت خمسة اذيرة نارية عليه انتقاما لخمس أبناء
قتلوا في الحرب •

واستمر التجمهر يزداد ساعة بعد ساعة الى أن اضطر رجال المنظمة
السرية الى اطلاق النيران في الهواء لارهاب الحاضرين ، وسألهم أحد
ضباط المنظمة عن يريدون رؤيته ، فأجاب كثيرون بأنهم يريدون رؤية
بافيلوني ، وأجاب آخرون : • بومباتشي وموسوليني وبيناتشي وبافاريني
جويدي • فاضطر الضابط المشرف على هذه العملية أن يربط هؤلاء
الأشخاص من أرجلهم ويرفعهم الى أعلى المبنى • وكان أول من رفع الى أعلى
من رجليه هو موسوليني لمسافة ست أقدام من الأرض ، وكان يرتدي
حذاء برقبة طويلة ، وكان وجهه ممتلئا بالكدمات الزرقاء والحمراء ، وفمه
مفتوحا على حين قام رجال الحرس بلف بعض الاقمشة على أجسامهم من

أسفل لتغطية عوراتهم ، ثم رفعت كلاريتا بيتانثي من قدميها الى أعلى ، فصرخت عدة نساء من هذا المنظر ، وتغيرت الحال فساد الهدوء الميسدان وبدأت تسرى مهمات بين الناس بأن الجثث المعلقة يجب أن يترحموا عليها بدلا من التسماتة فيها ، وفي هذه اللحظة سقط رداؤها الى أسفل وهي معلقة من رجلها فتعرت ساقها ووردفاها ، فصرخت! سوقة وجرت أحدا من اليها وحاولت أن تغطيها ، ولكن أحد الرجال جذبها الى أسفل وأخذ يضرب جثة كلاريتا بعصاه وهي تتأرجح في الهواء كأنها لعبة ميكانيكية ترقص يمنة ويسرة ولكن وجه كلاريتا لم يكن وجه لعبة ، فقد رأى الرجال الواقفون جمالا مجسدا تكسوه الأوحال والدماء ، وكانت عينها اللتان انفتحتا وقت تعليقها من رجلها قد عادت مرة أخرى فأغلقتا ببطء ، وكانت تنظر بوداعة وسلام وتبدو وكأنها تبتسم في وجه هذا الحشد الناقم .

أما وجه موسولينى وتقاطيعه التى انهالت عليها الأحذية فلم يكن يبدو عليها أى تعبير بالرضا ، وكان يبدو أنه ينظر بأسى ويأس تامين للنهاية المؤلمة التى انتهت اليها ، ولم يكن الحشد يرى فيه سوى وجه منتفخ ملطخ بالأوحال والدماء .

تم الكتاب



۱۵۷ شارع عیید - روض الفرج

تلیفون : ۴۰۵۸۸ - ۴۰۸۱۴
۴۱۰۱۲ - ۴۰۷۵۳